قراءة نحوية نصية

في سورة ص

د. عرفة عبدالمقصود عامر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قراءة نحوية نصية في سورة ص

د. عرفة عبدالمقصود عامر

المدرس بقسم النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم / جامعة القاهرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم يعد الدرس النحوي الحديث مقصوراً على مراجعة الكتب النحوية فحسب، بل على القراءة الواعية لدائرة أوسع هي دائرة الدرس اللغوي، بل ربما انطلق إلى ما خلف الجملة، أي النص بتمامه وما يشمله من علاقات تؤكد تواصل النص وتأثيره على قارئه، وتفاعل الأخير معه، ليس على مستوى الأفراد بل والجماعات؛ ومن ثم يحلق البحث في خصوص الدرس اللغوي المعاصر، مع عدم إغفال ثوابته الراسخة على أرض النحو بصورته العامة والخاصة، هذا النحو المشار إليه بكونه نظاما من القواعد والمقولات والحدود التي تختص بنظام لغة ما{[1]}.

وسأحاول إن شاء الله – أن أؤكد في هذا البحث تداخل العلاقات بين نحو الجملة ونحو النص من خلال دراسة تطبيقية على موضوع واحد من مواضيع سورة ص من خلال المحاور الآتية:

١– تمهيد عن التعريف بنحو الجملة، والفرق بينه وبين نحو النص، ومعرفة أدوات التحليل فيه.

٢– أسباب اختيار سورة ص موضوعاً أو نصاً للتحليل.

٣– صور التماسك النصي في السورة الكريمة.

٤– الخاتمة.

---

[1] – انظر هذا التعريف في علم النص مدخل الاختصاصات الاختصاصات / تون أ فان ديك / ترجمة د/سعيد بحيري/ دار القاهرة للنشر والتوزيع /ط/١/١٤٢١= ٢٠٠١م ص ٣٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولاً: التمهيد:

نظر النحاة العرب إلى اللغة نظرهم إلى الكائن الحي المتكامل المركب من جزئيات دقيقة، لا تزال تتداخل وتتآزر إلى أن تكون الكل العضوي، من ذلك مثلا تعدد المعاني النحوية من ملابسة وتفسير وإخراج – الاستثناء – وغائية ومصاحبة وتأثير وتأثر، وعلى سبيل المثال خذ قرينة لفظية معينة هي الفتحة القصيرة التي تصاحب المنصوبات، فإذا أردت أن تلتمس علاقة المنصوبات بالمعنى فلابد أن ترجح النصب في قوله تعالى " إنا كل شيء خلقناه بقدر "{١}؛لأن الرفع يؤدي إلى فساد المعنى أو توهم ذلك، ولابد أن تلاحظ الفرق بين فتحة المفعول به وتحويله من علاقة التأثير والتأثر إلى علاقة الإسناد (أي نائب فاعل) بل إن المفعول لأجله إذا فقد شرطا من شروطه زال معلم الفتحة إلى الكسرة، تلك الفتحة التي كانت معلما وشاهدا على العلة والغاية المتعلقة بصيغة معينة هي المصدر القلبي، تحولت إلى الكسرة بسبب فقدانها شرطا من شروط ما ينصب على العلة والغاية. وتأكد من أن التثنية في حالة الرفع (المحمدان) ماهي إلا صوت الفتحة الطويلة الذي وظف توظيفا صيغيا لإعطاء صيغة المثنى، ثم وظف توظيفا نحويا كي يكون علامة موقعية لرفع الصيغة التي صارت تتمتع بعلاقة الإسناد، ومثل هذا التكامل مبثوث بوفرة في جميع مباحث التأليف النحوي – على حد تعبير الدكتور/ محمود شرف الدين{٢}؛ ومن ثم فالصورة ليست قاتمة في النحو العربي، لأن النحاة رحمهم الله جعلوا لكل موقع من المواقع النحوية غرضا دلاليا.

بل إن التراث النحوي عند المسلمين تضمن ما يقطع بأن دراسات النحاة العرب قد تناولت بالفعل العلاقات الناتجة عن تركيب الكلمات في الجملة، حيث شملت هذه الدراسات عناصر متعددة ابتداء من أحوال أواخر الكلمات، ومرورا بدراسة عناصر التوافق والمخالفة بين الكلمات في نطاق الجملة، ثم صياغة هذه العناصر في شكل ضوابط مقننة، وانتهاء بدراسة الضوابط التي تحكم ترتيب الكلمات في الجملة العربية {٣}.

---

١ – سورة القمر /٤٩

٢ – مقدمات التأليف ونظرات في المنهج / د محمود عبد السلام شرف الدين ط/١/ ص / ٢٣/٢٢/ بتصرف

٣ – المدخل إلى دراسة النحو العربي / د علي أبو المكارم ط / ١٩٨٢/١م ص ٢٢ ص٦٥/٥٨ بتصرف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعريف نحو الجملة ونحو النص:

جاء في لسان العرب أن النحو مشتق من (نحا)، وعن الأزهري أنه ثبت عن أهل اليونان فيم يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم، أنهم يسمون علم الألفاظ والعناية بالبحث عنه نحوا، ويقولون كان فلان من النحويين؛ ولذلك سمي يوحنا الإسكندراني يحيي النحوي؛ للذي حصل له من المعرفة بلغة اليونان. والنحو إعراب الكلام العربي، والنحو القصد والطريق، يكون ظرفا ويكون اسما نحاه ينحوه وينحاه نحوا وانتحاء، ونحو العربية منه - أي -: انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه وإعرابه وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتنكير والإضافة والنسب وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة؛ فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذ بعضهم عنها رد به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع أي: نحوت نحوا كقولك قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم {[1]}.

وعند الأشموني نقلا عن ابن عصفور: النحو في الاصطلاح هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها {[2]}.

وخصه المتأخرون – نسبيا – بالإعراب والبناء؛ إذ حده خالد الأزهري بقوله: علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم إعرابا وبناء {[3]}.

أما الجملة فقد عرفها المبرد (من القدماء) بأنها ما يحسن عليها السكوت، وتجب به الفائدة للمخاطب {[4]}، وعرفها من المعاصرين الدكتور إبراهيم أنيس بأنها أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تكب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر{[5]}.

وكما تعددت التعريفات على مستوى النحو القديم وتنوعت، فإن النصيين المعاصرين لم يتفقوا على تعريف محدد للنص على النحو الآتي {[1]}:

---

[1] – لسان العرب : ابن منظور الإفريقي مادة / نحا والخصائص لابن جني ٣٥/١

[2] – حاشية الصبان على شرح الأشموني / (شرح الأشموني) دار إحياء الكتب المصرية ١٦/١

[3] – شرح التصريح على التوضيح / الشيخ خالد الأزهري/ دار الفكر ١٤//١

[4] – المقتضب صنعة أبي العباس المبرد/ تحقيق /محمد عبد الخالق عضيمة /لجنة إحياء التراث /١٣٩٩هـ ١٤٦/١

[5] – من أسرار اللغة د إبراهيم أنيس / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٧٨م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١- يرى برينكر أن النص عبارة عن تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع علامة ترقيم مناسبة.

٢- ويرى درسلر أن النص منغلق على ذاته، وأن الجملة في نص ما ليست تامة وليست مستقلة.

٣- والنص عند سوينسكي هو إبداع لغوي يستدعيه واقع معين.

٤- والنص عند هارتمان هو علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي، ومعنى هذا أنه أضاف خاصية ارتباط النص بموقف الاتصال وتعدد التفاسير.....

وبعد أكثر من عشر تعريفات يذكر الدكتور سعيد بحيري أن النص عبارة عن مجموعة من الأفعال الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي، ومتلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بتغير مضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل {٢}.

وأياما كانت الخلافات قديما أو حديثا، فإن حيوية النحو القديم تنبعث من أنه علم نصي، وغير خاف أنه نشأ في حضن القرآن الكريم كما يقول الدكتور محمد حماسة {٣}، أو كما يصف الدكتور إبراهيم رفيده مؤلفه (النحو وكتب التفسير) بقوله: هذا الكتاب بحث نحوي قرآني تفسيري؛ لتبادله صلة النحو بالقرآن الكريم وتفسيره وقراءاته منذ نشأ إلى اليوم "، وقرر أن هذه النشأة كانت في رحاب القرآن وبوحي من قدسيته، ووجوب المحافظة عليه وصيانته من اللحن وفساد الألسنة وتكسرها، وأن القرآن هو الأصل الأول من أصول النحو، كما أن نحاتنا أبلوا بلاء حسنا في توثيق النص القرآني بالاحتجاج للقراءات وبيان عللها ووجوهها واختلاف قرائها، وأنهم – النحاة – هم الذين هيأوا لعلماء التفسير الوسيلة الفعالة لفهم معانيه والاجتهاد في أحكامه وتفصيل آدابه وكان التقاء التفسير اللغوي بالأثري السبب في نشأة التفسير العقلي وجرأة العلماء عليه وتوسعهم فيه وترسيخهم أصوله ومناهجه {٤}

---

[١] – علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات د/ سعيد بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ط/١ /٢٠٠٤م ص٩٦ وما بعده

[٢] – علم لغة النص ص١٠٠

[٣] – اللغة وبناء الشعر / د محمد حماسة عبد اللطيف /ط/١/القاهرة١٩٩٢م ص ١٥

[٤] – النحو وكتب التفسير /المنشأة العامة للنشر والتوزيع / طرابلس /ط١/١٩٨٢م / ٩/١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما نحو النص فهو نمط من التحليل له وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة، ثم الفقرة، ثم النص بتمامه {١}. وهذا يقتضي ضرورة الاتساع في الأدوات والوسائل، وإدخال عناصر ومعايير كانت جزءا من الدرس النحوي،وأخرى جديدة عليه نتجت من تجاوز أطره التقليدية، وتداخله مع أوصاف أخرى تشترك جميعها في تقديم وصف شامل لبنية النص، وربما تقدم عناصر نحوية توضيحا لجوانب دلالية، وتقدم عناصر دلالية تمييزا لعناصر نحوية إذ إن مستويات النص المختلفة تتفاعل فيما بينها، ويجيز التحليل لنفسه أن يفككها ليعيد بناءها ثانية {٢}.

هذا مع ملاحظة أن الباحث المنصف لا يستطيع أن يدعي حتمية الفصل بين نحو الجملة ونحو النص إلا من أجل الدراسة فقط؛ بدليل أن فندايك van Digk يرى أن نحو الجملة يشكل كماً غير قليل من نحو النص {٣}، ومن ثم يرى الباحث أن نحو الجملة هو النواة الأساسية لنحو النص، و تحليل الجملة بالنسبة لنحو النص هو جزء فعال ومؤثر في هذا الكل، إذ لابد لكل تفسير نصي أن يمر عبر بوابة نحو الجملة، فعلى سبيل المثال لو أردنا الوصول لإدراك التماسك النصي ومحاولة إدراك دور أدوات الربط بين عناصر القصة الواحدة أو الموضوع الواحد في القرآن الكريم في أكثر من سورة في ضوء التناص – بمفهومه الشامل، فلابد أن توظف أولا المعاني النحوية وذلك في قوله تعالى " وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا " البقرة ٥٨ / وفي آية الأعراف ١٦١/"وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم " وقلنا لماذا اختيرت الواو في الأعراف واختيرت الفاء في البقرة ؟ فلابد أن نحدد أولاً المعنى النحوي للواو هل هي للحال أم القسم، أم العطف، أم للاستئناف ؟ وهل الفاء هي الزائدة أم الواقعة في جواب الشرط أم العاطفة ؟ فتحديد المعاني النحوية مطلوب أولاً , وتحديد موقعها، ثم بيان سبب الاختيار ومدى

---

[١] – العربية من نحو الجملة إلى نحو النص : د/ سعد مصلوح ص٤٤الكتاب التذكاري لذكرى هارون – الكويت١٩٩٩م

[٢] – علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات/ د سعيد حسن بحيري ٤٣

[٣] – علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات / ص١٠٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملاءمته للسياق بأنماطه الثلاثة – الثقافي، الاجتماعي، النفسي -؛ لأن لكل موقع من المواقع النحوية حقله الدلالي أو غرضا دلاليا، وأن العنصر اللغوي البسيط بات يؤديه،فالفاء تفيد سرعة التعقيب فناسب الدخول إذ هو سريع التحقيق، فيتبع بالأكل كما في سورة البقرة، أما في سورة الأعراف فالواو تفيد مطلق الجمع، وهو مرتبط بالإحالة الداخلية وسياق الآية إذ صدرها " اسكنوا" أي أقيموا وذلك ممتد فذكر بالواو، أي اجمعوا بين الأكل والإقامة {١}.وليس الأمر خاصا بالأدوات فحسب، بل إن الحال مثلاً يصف صاحبه ويقيد عامله بعد أن كان مطلقاً، والمفعول لأجله يجيء بياناً للسبب الذي من أجله حدث أو يحدث الفعل، والخبر تتم به الفائدة والإسناد وهكذا...أضف إلى هذا أن العبرة في رصف العناصر اللغوية ليس في وضع أحدها مجاوراً للآخر، بل في إيجاد اللحمة والوشيجة القوية، حتى أصبح على الباحث في نحو الجملة أن ينظر في كل تركيب نظرته للعملة الواحدة التي لها وجهان: وجه للتعرف على عناصر التركيب التي كونت إطاره الشكلي، والثاني للتعرف على حقيقة العلاقة أو النسبة التي تقدمها مضمونات هذه العناصر – على حد تعبير الدكتور شرف الدين {٢}

لقد عرض نحو الجملة إلى الظواهر التركيبية مثل التراكيب والحذف والزيادة والتطابق، بل جاءت بعض الإشارات النحوية القديمة الواعية التي راعت العلاقات الدلالية العميقة التي تربط بين الجمل والمتواليات الجملية: من ذلك ما أشار إليه ابن هشام إلى جواز مجيء الفصل بين المتضامين بسبع جمل على رأي الزمخشري{٣}، وذكر البغدادي في خزانة الأدب رأي العلامة الرضي الذي يجوز مجيء واو {رب} أثناء القصيدة وأنها للعطف والمعطوف عليه متقدم بثلاثة وثلاثين بيتا وذلك في قول الشنفرى:

وليلةِ نحسٍ يصطلي القوسَ ربُّها ## وأقْطُعَه اللائي بها يَتَنَبلُ {٤}

---

١ – أسرار القرآن للكرماني تحقيق عبد القادر أحمد عطا – القاهرة ص ٢٧

٢ – التوابع بين القاعدة والحكمة محمود شرف الدين/ط/١/١٩٨٧م ص ٥

٣ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام /تحقيق محمد محيي الدين/مكتبة صبيح / ص / ٣٩٤ وفيه أن ابن مالك هو الذي نقل عن الزمخشري

٤ – مختارات ابن الشجري /لأبي السعادات هبة الله بن الشجري/ دار الكتب العلمية/ بيروت ص/٢٣ برواية وليلة صر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومعنى هذا أنه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بعشرات الجمل والأبيات{[1]}! وأياما كان رأينا على توجيه الرضي السابق{[2]}، فإن هذه التفسيرات التي هي الآن من صميم نحو النص ضاعت أدراج الرياح.

وأيضا من ذلك الخلاف النحوي المشهور بين النحويين في تحديد جواب القسم في قوله تعالى " ص والقرآن ذي الذكر" آية رقم /١على النحو الآتي:

١- حيث يرى الكوفيون والزجاج أن الجواب هو قوله تعالى " إن ذلك لحق تخاصم أهل النار " آية/ ٦٤

٢- ويرى الأخفش أن الجواب هو قوله تعالى " إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب " آية / ١٤

٣- وغيرهم قوله تعالى " كم أهلكنا قبلهم من قرن آية/٣، ومنهم من رأى أن الجواب محذوف أو مقدم على تفصيل سيأتي في الدراسة ([3])

المهم أن جواب القسم على الرأي الثالث يمثل الجملة الثالثة في سورة{ص}، وعلى الرأي الثاني يمثل الجملة السادسة والعشرين، لاحظ أننا لازلنا في الآية رقم(١٤) وإشارة النحاة إلى ابتعاد جواب القسم بعد تحديده!! فما بالنا بالرأي الأول الذي جعل الجواب في الآية الرابعة والستين ؟ لقد وقع بعد عشرات الجمل!

الملامح الفارقة لنحو النص:

وبكل موضوعية أقرر أن الفراء ضعف الرأي الأول، وضعف غيره الرأي الثاني، وضاعت فرصة نصية ما أحوجنا إليها الآن!؛ ومن ثم احتيج إلى تفسير ذلك بنحو النص الذي يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، كما أنه يلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، كما أنه يحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية

---

[1] - خزانة الأدب ٢٠٥/٤ عبد القادر البغدادي (طبعة بولاق)

[2] - دور شواهد الشعر الجاهلي في التقعيد النحوي / دار الثقافة العربية ٢٠٠٠م / ص ٥٩٢

[3] - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي / دار الفكر ٧/ ٣٨٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النصية وقواعد ترابطها{١}،والعناية بعلاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير، والتنويعات والتركيبات وتوزيعاتها في النص؛ ومن ثم فإن وصف الجملة وحدها وصفا نحويا ليس كافيا للوصف اللغوي، بل لابد من إحداث ترابط بين النص والسياق الاتصالي، والمعلومات الدلالية والمنطقية؛ فعندما نقول مثلا: شرب خالد حليبا، فالعلاقات النحوية على مستوى نحو الجملة واضحة من تأثير وتأثر وشارب ومشروب (مسند ومسند إليه ومفعول)، لكن على مستوى نحو النص، لابد من مراعاة الروابط النصية السابقة أو بعضها؛ بمعنى هل خالد شرب الحليب في نهار رمضان! أم كان الشرب في سفارة أجنبية ؟ أم عد الشرب قرينة عليه في قتل جاره؛ لوجود بقايا الحليب في موقع الجريمة ؟.

هذا ويرى بعض الباحثين أن الدعوة إلى ضرورة امتداد نطاق الوصف النحوي إلى إدراك ما وراء الجملة تتطلب في طياتها ضرورة الاتساع في الأدوات والوسائل، والانتقال بالنحو العربي واللسانيات العربية بعامة من أسوار الجملة إلى الكلام، أي إلى النحو بمفهومه الواسع للمصطلح؛ ليكون قادرا بوسائله على محاصرة النص ووصفه، والكشف عن علاقاته التي تتحقق بها نصية النص بما هو حدث تواصلي مركب، ذو بنية مكتفية بنفسها قادرة على الإفصاح والتأثير والفعل {٢}

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أجمع فريق من الباحثين أنه لا يمكن الفصل بين الجملة والنص{٣} – ومن ثم يرى صاحب البحث أنه لا مانع من استلهام نظرة تكاملية بين نحو الجملة ونحو النص، وذلك بمراعاة تعدد وظائف الكلمة الواحدة باعتبارات متنوعة مترتبة يسلم

---

١ – علم لغة النص / سعيد بحيري ١١٨/١١٩ بتصرف

٢ – نحو أجرومية للنص الشعري / د سعد مصلوح /مجلة فصول ج/١/ص ١٠٣عدد ٢/١/ يوليو وأغسطس / ١٩٩١م – وانظر أيضا لغة النص المفاهيم والاتجاهات ص٤٣ بتصرف ،

٣ – وعلى رأس هؤلاء أتباع البنوية الأمريكية القائمة على أساس مقولة بلومفيلد وهي أن الجملة أكبر مقولة لغوية ، وأنه يمكن اعتبار النص جملا طويلة . انظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق د صبحي الفقي /دار قباء للنشر والتوزيع /٢٠٠٠م القاهرة ١٢١/١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعضها إلى بعض، فمثلا الآية الخامسة عشرة من سورة { ص} بها اسم إشارة وهو {هؤلاء} من قوله تعالى " وما ينظر {هؤلاء } إلا صيحة واحدة ما لها من فـــَواقٍ "ص/١٥، اسم الإشارة هذا متعدد الوظائف اللغوية في النص السابق على النحو الآتي:

١-على مستوى الصيغة والإفراد ينظر إليه نظرة صرفية.

٢-على مستوى الجملة له وظيفة نحوية وهي الإسناد.

٣- على مستوى الدلالة يدل على التحقير{١}.

٤-أما على مستوى النص كاملا فقد صارت له وظيفة نصية، عنيت: الإحالة القبلية أي العودة على متقدم، وذلك في الآية الثانية " بل { الذين كفروا }في عزة وشقاق " فانظر كيف غـــدت الوظيفة نوعا من عناصر تماسك الموضوع الواحد، وهذا جزء من نحو النص. وصار لها مســـمىً جديدا [العنصر الإحالي]، الذي يحيلنا إلى عنصر إشاري جاء في أول النص [الذين كفـــروا] ولا مانع أن يستبدل بعنصر إحالي آخر كالضمير أو الموصول..، وقد تحقق فعلا بتناص الآيـــة مـــع نظيرتها في سورة يس في قوله تعالى " ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين # ما { ينظرون} إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون"٤٨/٤٩

---

[١] - روح المعاني / والقرآن العظيم والسبع المثاني :الألوسي / تحقيق محمد أحمد الأمد وآخر دار إحياء الكتب العربية بيروت ط/١١٩٩٩م ١٢/١٧١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: أسباب اختيار سورة {ص} نموذجا للتحليل

١- إن قراءة سريعة في علوم المكي والمدني،وإدراك كم المؤلفات الدقيقة في هذا الموضوع – علوم القرآن – تؤكد تحقق التماسك النصي للقرآن الكريم على مستوى مواضيع الخطاب الديني، والتماسك بين النص والعالم الخارجي القديم والمعاصر.

٢- أضف إلى هذا أن النص القرآني يفاجئنا من حين لآخر بأسرار تزيد من معرفتنا بلغتنا وخصائصها، هذه الأسرار ناتجة عن التعمق في قواعد النحو القديم والتفاعل مع مفسري النص القرآني، وأن أدوات التحليل الجديدة هي إضافة جيدة إن خلت من الغلو والمبالغة، ولم تكن مجرد نقد انطباعي ربما يغفل عمق دلالات الوظائف والمعاني الهامشية التي يثيرها التركيب عندما تحتل الكلمات وظائف مختلفة ومواقع مختلفة {[١]}.

٣- كما أن سورة {ص} شأن كل سور القرآن لها بدء وانتهاء، وغير منغلقة على نفسها في ضوء السابق واللاحق، لكنها شكلت مع بعض سور أخرى في القرآن الكريم تميزا وذلك في البدء بحرف معجز من حروف المعجم مثل سورتي {ق} و{ن}

مناسبة السورة لما قبلها:

من خلال تتبعي لفيفا من كتب التفاسير وجدت السورة الكريمة بها مظاهر اتصال بما قبلها، أي سورة الصافات، وكانت هذه المظاهر متنوعة الفروع متحدة في الأصل بما يؤكد وحدة النص القرآني وترابطه بما قبله وما بعده؛ حتى قال الألوسي عن سورة { ص}: وهي كالمتممة لما قبلها – أي الصافات –من حيث أنه ذكر فيها ما لم يذكر في تلك من الأنبياء عليهم السلام كداود وسليمان{[٢]}.

أضف إلى هذا أن سورة الصافات فيها ذكر لبعض الابتلاءات التي أصابت الرسل مثل نوح – عليه السلام – " ونجيناه وأهله من الكرب العظيم " ٧٦/ الصافات، وإبراهيم – عليه السلام

---

[١]- راجع بقية المآخذ في مجلة دار العلوم العدد/٣٢/ د/ محمد عبد الرحمن الريحاني (قراءة النص رؤية في التحليل الدلالي) ص٢٥٥

[٢]- روح المعاني/ ١٢/ ١٦٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– " قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادو به كيدا فجعلناهم الأسفلين" ٩٧/ ٩٨ الصافات، وأيضا فيها ذكر ابتلاء إسماعيل – عليه السلام – "إني أرى في المنام أني أذبحك "١٠٢/الصافات، إلى قوله تعالى " إن هذا لهو البلاء المبين ١٠٦"، ونبي الله لوط – عليه السلام – قال الله في حقه " إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين " ١٣٤/١٣٥، وقال الله تعالى في حق يونس – عليه السلام – " فالتقمه الحوت وهو مليم " ١٤٢. وفي المقابل في سورة { ص} ابتلاءات لداود وسليمان وأيوب – عليهم السلام –

أيضا في آخر سورة الصافات ذكر إهلاك الكفار وإفنائهم " أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ١٧٦/١٧٧، وفي أول سورة {ص} قوله تعالى " قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ١٦/ص.

وفي الصافات حكاية عن الكفار في قوله تعالى " وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا في الأولين ١٦٨/لكنا عباد الله المخلصين ١٦٩/ فكفروا به فسوف يعلمون ١٧٠ / ومن ثم بدأ سورة {ص} بقوله "ص والقرآن ذي الذكر"، ثم ذكر كفرهم بهذا الذكر، ثم فصل ما أجمل في الصافات {[1]}.

وهذه قمة المناسبة بين الصافات وص، بل يكفي أنه ذكر في الصافات حجتهم " لو أن عندنا ذكرا في الأولين لكنا عباد الله المخلصين " في { ص} ذكر لهم طرفا من قصص الأولين داود وسليمان وأيوب فهل آمنوا!

وأضاف البقاعي رحمه الله وجها لطيفا آخر للمناسبة بين الصافات والصفات الصوتية لحرف الصاد فقال " المقصود منها بيان ما ذكر في آخر الصافات: من أن جند الله هم الغالبون وإن رئي أنهم ضعفاء، وإن تأخر نصرهم، كما أن آخر الصافات بها من التنزيه والحمد وعلى ذلك دلت تسميتها بحرف {ص}؛لأن مخرجه من طرف اللسان وبين أصول الثنيتين السفليتين، وله من الصفات الهمس والرخاوة، والإطباق والاستعلاء والصفير. ثم يربط بين مخرج الصاد وصفاته وبين معاني السورة الكريمة بأن مخرجه أمكن مخارج الحروف وأوسعها وأخفها، والصفات العالية بها

---

[1] – روح المعاني ١٢/١٦٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كثير؛ لذا ذكر فيها من الأنبياء الذين لم يقتلوا بل ابتلوا وعوفوا وسلمهم الله من أعدائهم ودانت لهم الأرض{[1]}.

وهنا نلمح ربط الصوت ببعض المعاني الموجودة في السورة المعنية من جهة وبعض المعاني الموجودة في سورة أخرى سابقة، مع ملاحظة أن ابن جني له حديث مفيد عن مناسبة الصوت وصفاته للمعنى قوة وضعفا حيث قال تحت باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني " جعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى " {[2]}

مناسبة السورة لما بعدها:

جاء في روح المعاني :

١-أن وجه اتصال سورة الزمر بسورة {ص} أن الله تعالى قال في {ص} "إن هو إلا ذكر للعالمين "وقال جل شأنه في الزمر "تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " وفي ذلك كمال الالتئام بحيث لو أسقطت البسملة لم يتنافر الكلام.{[3]}

٢-ثم إنه تعالى ذكر آخر { ص} قصة خلق آدم – عليه السلام ٧١/– وذكر في صدر الزمر خلق زوجه حواء منه، وخلق الناس كلهم في بطون أمهاتهم خلقا بعد خلق، ثم ذكر القيامة والحساب والجنة والنار – راجع الآيات ٦/ و٧٠، وختم ذلك سبحانه بقوله " وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين "٧٥، فذكر جل شأنه أحوال الخلق من المبدأ إلى آخر المعاد متصلا بخلق آدم عليه السلام المذكور في { ص} – راجع الآية ٧١ منها. ومعنى هذا أن السورة متصلة بما بعدها وما قبلها.

ومما سبق نفهم أن السورة متماسكة من حيث المناسبة وذلك على مستوى مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، أو حتى على مستوى المواضيع الموجودة في إطار السورة، أو مستوى الآيات

---

[1] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / لبرهان الدين بن عمرو البقاعي/ دار الكتب العلمية / بيروت / ٣٥٦/٦

[2] – الخصائص ابن جني / تحقيق محمد علي النجار/ المكتبة العلمية ١٦٢/٢

[3] – روح المعاني ١٢ /٢٢٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيما بينها – كما سيأتي – بما يؤكد التماسك الدلالي وهو مطلب مهم وعنصر من عناصر الاتساق والتماسك في الدراسات النصية المعاصرة{[1]} كما يتضح من هذه التقسيمات:

أدوات التماسك

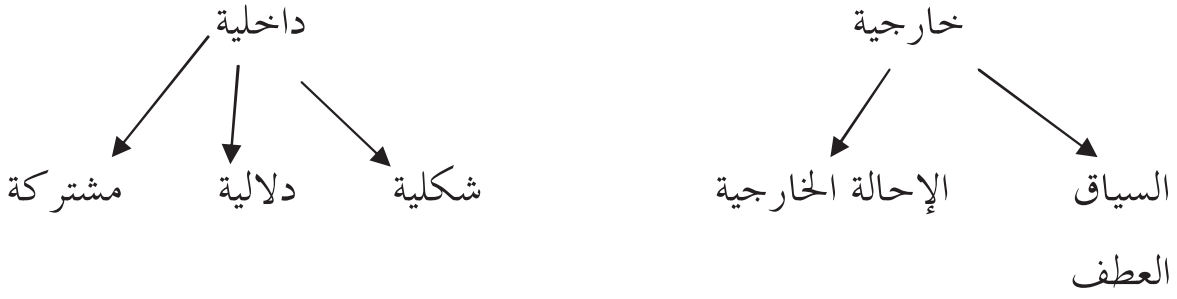

العطف	المرجعية
التكرار	الإبدال
المعجم	الحذف
الرتبة	التكرار بالمعنى

السببية والتوكيد

التخصيص والإضراب

العطف...

التحليل النصي لسورة { ص }

موضوع هذه السورة الكريمة هو عرض مجموعة من الخصومات المبنية على كلمة ذلك الحرف الذي بدأت به السورة وسميت به، بما يؤكد تماسكها ووحدتها على مستوى الموضوع على النحو الآتي:

---

[1] – علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١/١١٨/١٢٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١- خصومة الكفار مع النبي – صلى الله عليه وسلم – وقولهم " أجعل الآلهة إلها واحدا..(٤) إلى آخر كلامهم.

٢- ثم اختصام الخصمين عند داود – عليه السلام –

٣- ثم تخاصم أهل النار.

٤- ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم، وهو الدرجات والكفارات.

٥- ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود، ثم اختصامه ثانيا في شأن بنيه، وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم {[١]}.

وسأعرض للموضوع الأول باعتباره وحدة مستقلة المعنى بها الحدث الرئيس للسورة أي خصومة الكفار مع النبي – عليه السلام –؛ بسبب دعوته إياهم للتوحيد، كما أن أدوات التحليل النصي وإجراءاته ربما تتكرر في بقية وحدات السورة، التي لن تخرج عن تسلية النبي – عليه السلام – وبيان الصعوبات والفتن التي قابلت بعض الأنبياء السابقين –عليهم السلام – وصبرهم وانتصارهم، ثم تأكيد رسالة النبي بالحديث عن بعض الغيبيات مثل حديث الملائكة وإبليس مع رب العزة عن آدم عليه السلام.

---

[١] – البرهان في علوم القرآن للزركشي /تعليق مصطفى عبد القادر عطا / دار الفكر للطباعة والنشر . ٢١٨/١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خصومة الكفار مع النبي عليه السلام

نص الموضوع

{ ص والقرآن ذي الذكر(١) } بل الذين كفروا في عزة وشقاق (٢)كم أهلكنا قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص (٣)وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (٤)أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب (٥)وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (٦)ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٧)أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب (٨)أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب (٩)أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب (١٠)جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب (١١)كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد (١٢)وثمود وقوم لوط وأصحاب لئيكة أولئك الأحزاب (١٣)إن إلا كذب الرسل فحق عقاب (١٤)وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق (١٥)وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب (١٦)اصبر على ما يقولون..(١٧)

معنى المقطع { ص}وتعدد القراءات فيه

هي جزء من الآية الأولى؛ إذ لم يقل أحد إن { ص } وحدها آية، كما قيل في غيرها من أوائل السور{[١]}.

واختلف في معناها على النحو الآتي:

١- سئل جابر وابن عباس عن معنى { ص } فقالا لا ندري ما هو.

٢- وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنه قال { ص } أي صدق الله.

٣- وقال الضحاك أيضا في تفسيرها: { ص } أي أنا الله الصادق.

٤- وقيل هو إشارة إلى صدود الكفار عن القرآن.

٥- وقيل اسم للسورة وإليه ذهب الخليل وسيبويه.

٦- وقيل اسم للقرآن{١}.

---

[١] - روح المعاني ١٢/١٦٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧- أما عن تعدد القراءات ل { ص } فهي على الوجه الآتي:

١- أكثر القراء على قراءتها بسكون الدال {صادْ} كسائر حروف التهجي في أوائل السور.

٢- وقرأ أبي والحسن وابن أبي إسحاق وابن أبي عبلة وأبو السَمَال بكسر الدال من غير تنوين { صادِ }

وفي تفسير هذه القراءة وجهان:

أ – أحدهما أنه كسر لالتقاء الساكنين وهو حرف من حروف المعجم نحو { ق } و{ ن } وهذا أقرب.

ب – والثاني أنه أمر من المصادة وهي المعارضة، مشتق من صدى الصوت إذ يعارض الصوت الأول ويقابله بمثله في الأماكن الخالية، والمعنى: عارض القرآن بعملك، أي اعمل بأوامره ونواهيه، أو أعرضه على عملك فانظر أين عملك من القرآن، وقيل المصادة هي المحادثة والمعنى: حادث الناس بالقرآن.

٣- وقرأ ابن أبي إسحاق { صادٍ } بالكسر والتنوين على جره بحرف جر للقسم محذوف، ومعناها القرآن.

٤- وقرأ عيسى وأبو عمرو { صادَ } بالفتح من غير تنوين وفيه ثلاثة أوجه:

أ – البناء على الفتح تخفيفا كأين وكيف.

ب – الجر بحرف القسم المقدر مع منعه من الصرف للعلمية والتأنيث.

ج – منصوب بإضمار فعل تقديره اتل { صاد } أو منصوب على نزع الخافض.

٥- قرأ الحسن وهارون { صادُ } بالضم من غير تنوين ممنوع من الصرف، على أنه اسم للسورة، وهو خبر لمبتدأ مضمر أي هذه صادً {[٢]}.

---

[١] – الكشاف للزمخشري دار المعرفة بيروت ٣/٣١٥

[٢] – انظر في هذا الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لشهاب الدين بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي /تحقيق جاد مخلوف جاد وآخرون/دار الكتب العلمية / بيروت ج/ ٥/٥١٩, وإملاء ما من به الرحمن ٢/٢٠٨,وروح المعاني ١٢/١٦١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وخلاصة هذه القراءات أن { ص } إما حرف وإما فعل وإما اسم، ومن ثم تعددت الوظيفة النحوية والنسبة لكل توجيه، مع ترجيحنا لمن قال إن {ص} من الحروف المقطعة المعجزة، التي لا يعلمها إلا الله؛ وذلك لاعتبارات إحالية ستأتي في تحليل العنصر الإشاري (الذين كفروا){١}

ثالثاً: صور التماسك النصى

تطبيق بعض معايير التماسك على النص المختار:

يعد معيار التماسك من المعايير التي تحقق نصية النص، وهو يختص بالعلاقات المتبادلة بين مكونات النص السطحي (المفردات) وهو يعتمد على العلاقات النحوية، وتصير هذه المكونات منسجمة إذا تآلفت وقبلت بعضها للبعض الآخر{٢}. وإذا كان التماسك على مستوى الجملة يحقق عدة أغراض مثل وضوح العلاقة، وعدم اللبس في أداء المقصود منها، وعدم الخلط بين عناصرها – على حد تعبير الدكتور محمد حماسة {٣}-؛فإن التماسك بمجموع عناصره يمثل عنصرا جوهريا في تشكيل النص وتفسيره{٤}. وغير خاف إشارة السيوطي إلى التماسك أو الالتئام بجعله أحد وجوه الإعجاز القرآني،فالوجه الثالث من وجوه إعجازه حسن تأليفه والتئام كلمه، وفصاحته.{٥}..

وعلى هذا فالتماسك له صور ومظاهر تتضافر جميعها في تفسير النص وقراءته قراءة مبدعة، بحيث لو طبقت على النص القرآني فإنها ستؤكد إعجازه، هذه العناصر{٦} هي:

١- التماسك النحوي.

٢- التماسك الدلالي.

٣- التماسك المعجمي.(تعانق المفردات)

---

١ – انظر هذا البحث ص٢٠

٢ – دراسة نصية لصور التماسك النصي : مصطفى قطب / دكتوراه /دار العلومرقم١٠٧٧عام١٩٩٦م ص ٥٧

٣ – بناء الجملة العربية د / محمد حماسة / دار الشروق/ ط/١/١٩٩٦م مصر /ص ٧٤ بتصرف

٤ –علم لغة النص / سعيد بحيري ص١٤١ بتصرف

٥ – علم اللغة النصي ٩٦/١ ، وانظر وجوه إعجاز القرآن في البرهان للزركشي ١٠٤/٢/ ٢١٩

٦ – علم اللغة النصي / د صبحي الفقي ١٢٠/١ وما بعده

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- التماسك الصوتي (فواصل الآيات)

٥- تماسك أفكار النص ومواضيعه.

٦- التماسك بين النص والعالم الخارجي.

١- التماسك النحوي ويندرج تحته:

١- الإحالة بنوعيها القبلية والبعدية، والداخلية أو الخارجية

٢- الحذف بتدرج أنماطه، وأدلته اللفظية أو الحالية.

٣- الربط بنوعيه الخطي المتصل والخطي المنفصل.

والآن إلى التحليل الوصفي والاستنتاج على النحو الآتي:

١- ١ { الإحالة }

الإحالة هي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة {أو لاحقة} في النص { أو خارجه}، بما يؤدي لذكر العنصر الإشاري والتعويض عنه بعنصر ما بما يسهم في تحقيق التماسك النصي، ومن ثم فالإحالة تقوم على مبدأ التماثل بين العنصر الإحالي وما سبق ذكره في مقام آخر.{[١]}

وقد قسم الباحثون مستويات الإحالة إلى مستوين أساسين هما:

١- إحالة داخل النص وتسمى إحالة نصية، أي إحالة العناصر اللغوية الواردة في النص الملفوظ، وهي إما أن تكون إحالة على السابق، حين تعود على مفسر سبق التلفظ به. أو على اللاحق حين تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، أو إحالة معجمية، أي إحالة عنصر معجمي على مقطع من جملة أو مركب نحوي لتفسيره وشرحه؛ وبهذا تكون الإحالة على المستوى الداخلي للنص المدروس وبعناصرها الإشارية قد ساهمت في صناعة التماسك بين مكونات النص.

---

[١] - علم اللغة النصي / صبحي الفقي ٣٩/١ بتصرف وإضافات لما بين الأقواس .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- إحالة خارج النص وتسمى إحالة مقامية حيث تقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص،مع وجود عنصر إحالي لتعيينه. وأيضا تمثل الإحالة على المستوى الخارجي عنصرا مهما في صناعة التماسك النصي.{[١]}

إجراءات التحليل الإحالي:

١- كتابة العنصر الإشاري المحوري بصورة مميزة على شكل عنوان.

٢- وضع العناصر الإحالية الملفوظة - الظاهرة -التي تعود عليه بين قوسين هكذا { هو}. والمقدرة على هذا النحو{×}.

٣- ذكر رقم الجملة في أولها حسب ورودها بين قوسين هكذا {٣}؛حتى تتضح المسافة الفاصلة بين العنصرين الإشاري والإحالي.

٤- ذكر رقم الآية في آخر الجملة هكذا (٣).

٥- ملحوظات التحليل ونتائجه.

وبتطبيق ما سبق من شرح المعيار الأول على جمل الآيات السابقة يأتي تحليل النص على النحو الآتي:

أولا: على مستوى الإحالة الداخلية القبلية كان (كفار مكة) من العناصر الإشارية المحورية التي ارتبطت بعناصر أخرى إحالية بعدها، من ضمير أو إشارة أو موصول أوعلم..

الذين كفروا

وهم الذين كانوا على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – أي هم أصحاب الخصومة معه، وفي النص السابق عبر عنهم القرآن الكريم بعدة عناصر إحالية في متواليات تمثل جملا متقاربة من العنصر الإشاري الأول أو متباعدة عنه على النحو الآتي:

[٢] بل الذين كظفر{وا} في عزة وشقاق (٢) واو الجماعة تعود على الذين، وهم يمثلون كفار مكة كما في كتب التفاسير (تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/٢٨).

---

[١] - نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب / د مصطفى النحاس /دار السلاسل / الكويت/ط/١/٢٠٠١م/ ص٦١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[٣] كم أهلكنا من قبلـــ{هم} من قرن (٣)

[٥] وعجبـــــ{ وا}

[٦]أن جاء{هم} منذر منـــ{هم}،

[٧] وقال {الكافرون}..(٤)

[١٠] وانطلق { الملأ } مـــنـــــ{ هم }

[١١]أن امشـــــــ{وا}

[١٢]واصبر{وا} على آلهتـــ{كم}(٦)

[١٤] ما سمعنـــــــ{نا} بهذا في الملة الآخرة (٧)

[١٦] أأنزل عليه الذكر من بينـــــــ{نا}

[١٧] بل {هم} في شك من ذكري

[١٨] بل لما يذوقـــ{وا} عذاب (٨)

[١٩]أم عند {هم} خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب (٩)

[٢٠] أم { لهم} ملك السماوات والأرض وما بينهما

[٢١]فليرتقـــ{وا}..(١٠)

[٢٢ { ×} {جند} ما هنالك مهزوم من {الأحزاب}(١١)

[٢٣] – كذبت قبلـــ{هم} قوم نوح وعاد..

[٢٧] وما ينظر {هؤلاء} إلا صيحة واحدة (١٥)

[٢٨] وقالـــ{ وا} ربـــ{نا} عجل لـــ{نا} قطـــــ{نا} قبل يوم الحساب (١٦)

[٢٩] اصبر على ما يقولـــــ{و}ن.. (١٧)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحوظات التحليل:

١- بلغ مجموع العناصر الإحالية التي تعود على العنصر الإشاري الأول ثمانية وعشرين عنصرا.

٢- تكرر الضمير بأنواعه كعنصر إحالي ثلاثا وعشرين مرة من المجموع السابق أي بنسبة ٨٢%؛ لما فيه من إضمار واختصار.

٣- ومن حيث طبقية الضمائر لوحظ أن ضمائر الغيبة تكررت خمس عشرة مرة أي بنسبة٦٥%، يليها ضمائر المتكلم خمس مرات أي بنسبة ٢١%، ثم ضمائر المخاطب ثلاث مرات أي بنسبة ١٣%، وذلك يمثل اتساق عناصر الإخبار والحوار.

٤- ومن حيث الموقع الإعرابي تساوت ضمائر الرفع مع ضمائر الجر في العدد والنسبة، إحدى عشرة مرة لكل منهما أي بنسبة ٩٦%، وجاء ضمير النصب على نزع الخافض {جاءهم }في الموقع الأخير حيث تكرر مرة واحدة.

٥- كل الضمائر التي قامت بدور العنصر الإشاري الإحالي على كفار قريش موجودة في النص باستثناء ضمير واحد هو ضمير الرفع {هم}، حيث حذف على أحد الوجهين الجائزين في إعرابه؛ فقوله تعالى { جند } إما خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم جند على رأي الألوسي{[١]}، وارتضاه السمين الحلبي {[٢]} وإما مبتدأ خصص بالوصف { هنالك } على رأي أبي البقاء العكبري {[٣]}.

٦- وجاءت العناصر الإحالية الأخرى في المرتبة الثانية بنسبة ١٨% حيث تكررت خمس مرات منها واحد فقط اسم إشارة {هؤلاء }للدلالة على التحقير وأن صيحة واحدة تكفي في إهلاكهم {٤}. وجاءت الأسماء الظاهرة أربع مرات { الكافرون – الملأ – جند – الأحزاب }

---

[١] – روح المعاني ١٩٦/١٢

[٢] – الدر المصون /٥٢٦/٥

[٣] – إملاء ما من به الرحمن ٢٠٩/٢

[٤] – نظم الدرر للبقاعي ٣٦٧/٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧- جاءت بعض العناصر الإشارية من باب وضع الظاهر موضع المضمر، وذلك في قوله تعالى "وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (٤) ويشير الزمخشري إلى الدقة في عدم استبداله بعنصر الضمير فيقول [ولم يقل {وقالوا}؛ إظهارا للغضب عليهم،ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر، المنهمكون في الغي، الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقا، وهل ترى كفرا أعظم، وجهلا أبلغ، من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا! ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره، ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل]{[١]}.

٨- اقتربت هذه العناصر الإحالية من العنصر الإشاري الأول كما في الجملة الثانية مباشرة ثم توالت في التدريج حتى بعدت إلى الجملة الأخيرة رقم [٢٩]. وهذا يدل على دور الإحالة الداخلية في ربط النص من أول جملة إلى آخر جملة.

القرون الأولى: ويقصد بهم كفار الأمم السابقة وهم أيضا من العناصر المحورية في موضوع الخصومة؛ لأن كفار مكة يكررون نفس حماقة الكفار السابقين في تكذيب الرسل وإيذائهم والكيد لهم، بل وربما قتلهم، وقد تعددت العناصر الإحالية إليهم في النص الكريم في الجمل الآتية

[٣] كم أهلكنا من قبلهم من {قرن} (٣)

[٤] فنادوا{وا} ولات حين مناص (٣)

[٢٣] كذبت قبلهم قوم نوح وعاد..(١٢)

[٢٤] {أولئك} {الأحزاب} (١٣)

[٢٥] إن كلٌ {×} إلا كذب الرسل (١٤)

ملحوظات التحليل:

١- تعد كلمة {قرن} في الجملة الثالثة العنصر الإشاري الذي يتبعه عدة عناصر تحال إليه.

٢- بلغ مجموع العناصر الإحالية التي تعود على العنصر الإشاري الأول خمسة عناصر.

٣- احتل الضمير المرتبة الأخيرة حيث تكرر مرة واحدة في الجملة الرابعة {فنادوا} وهو لجماعة الغائب، أي بنسبة ٢٥%

---

[١] - الكشاف للزمخشري ٣١٦/٣ والدر المصون ٥١٩/٥, والبحر المحيط ٣٨٧/٧، وروح المعاني ١٦٦/١٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- جاءت العناصر الإحالية الأخرى في المرتبة الأولى حيث تكررت أربع مرات في مقابل الضمير بنسبة ٨٠%

٥- تكونت هذه العناصر الإحالية من اسم الجمع {قوم} وجمع التكسير{الأحزاب} واسم الإشارة {أولئك} وهي إحالة جمعية تتماسك معجميا مع كلمة قرن التي تدل أيضا على الجمعية.

٦- كل العناصر الإحالية كانت موجودة ماعدا العنصر الموجود في الجملة الخامسة والعشرين فهو إحالة صفرية؛ عنيت حذف المضاف في {كل} وهي منونة، والتنوين عوض عن العنصر المحذوف الذي يعود على قرن أي كل قوم من عاد وثمود.. ولعله حذف لتكراره في جمل متوالية قبله مباشرة[٢٣]و[٢٤]- قوم –أولئك –الأحزاب

٧-بمراجعة أرقام الجمل نلاحظ اقتراب عنصر واحد هو الضمير من العنصر الإشاري الأول في الجملة الرابعة أي بعده مباشرة، وابتعاد بقية العناصر وتأخرها في الموضوع الواحد وظهورها بعد تسع عشرة جملة، ووجه التماسك أنه تحدث عن كفار قريش محور الموضوع، أما الأمم الأخرى فكانت بمثابة التأكيد لوعيد الله وتهديده، والتلويح لهم بما حدث من عقاب في البدء والانتهاء.

القرآن: وهو محل النزاع بين الكفار ومحمد –صلى الله عليه وسلم – وقد أحيل إلى هذا العنصر في النص السابق بعدة عناصر إشارية في الجمل الآتية:

[١] ص و{القرآن} ذي الذكر(١)

[١٦] أأنزل عليه {الذكر} من بيننا (٨)

[١٧] بل هم في شك من { ذكري} (٨)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحوظات التحليل:

١- تكررت العناصر الإحالية العائدة على القرآن مرتين، ولم يستعمل الضمير ولا الإشارة ولا الموصول، بل كلمة أخرى هي { الذكر}

٢- ابتعدت العناصر الإحالية بين الجملة الأولى والجملة السادسة عشرة، ثم أعيدت بلفظها على التوالي، ومما لاشك في أن الإحالة بالتكرار معلم آخر على مستوى التماسك المعجمي بين كلمات النص.

٣- امتاز هذا التكرار في الإحالية بتناسقه في درجة التعيين، حيت عرفت الكلمة مرة بأل {الذكر}؛ لأنه في سياق القسم، ومرة بالإضافة لياء النفس {ذكري}؛ لأنه في مقام عرض شكهم،أضف إلى هذا التماسك الدلالي الناتج عن هذا التعريف بأل التي تفيد العهد الذكري،وأنه من كلام الكفار في مقام الحسد وإشارة إلى أن الوحي لن يغيب عن الرسول، وأن النصر قادم لك لا محالة، والهزيمة من نصيبهم (جند ما هنالك مهزوم)، والتعريف الناتج عن الإضافة لياء المتكلم وأنه من عند الله وليس أساطير الأولين.

الإهلاك: ويقصد به العذاب الحاصل لمن يكذب الرسل،في كل زمان ومكان، ومصدر هذا الفعل سيكون عنصرا يحال إليه بعدة عناصر إشارية في النص السابق على هذا النحو:

[٣] كم {أهلكنا} (٣)

[٦] جاءهم {منذر} (٤)

[١٨] لما يذوقوا {عذاب} (٨)

[٢٦] فحق {عقاب} (١٤)

[٢٧] وما ينظر هؤلاء إلا { صيحة} واحدة (١٥)

[٢٨] عجل لنا {قطنا} قبل يوم الحساب (١٦)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحوظات التحليل:

١- بلغ مجموع العناصر الإحالية التي تعود على العنصر الإشاري الأول خمسة عناصر كلها من باب الظاهر ولا وجود لأي من العناصر المبهمة؛ لأن المقام مقام تهديد ووعيد.

٢- لم يتكرر عنصر إشاري من العناصر الخمسة بلفظه وإنما جاء متنوعا بتنوع القرون المكذبة، فهو إهلاك و عذاب و عقاب و صيحة، ويجمعها كلها أنها وقعت بالفعل هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنها بتنوعها مرتبطة بالسياق، إذ أنه للشقاق والإذعان للذكر الذي هو الموعظة ذات الشرف فيناسبه بيان ما حدث للمكذبين من عقوبة، وبوضع آيات سورة {ص} مع تناص لما في سورة { ق}فإن السياق هناك لإنكارهم البعث وصحة النذارة وإثبات المجد؛ فكان الوعيد في ذلك كافيا{١}.

٣- اقتربت هذه العناصر في آخر ثلاث متواليات من النص، وتناثرت قبل هذا من الجملة السادسة والثامنة عشر.

٤- جاء عنصر واحد من هذه العناصر وهو يخلو من الإهلاك بلفظه، ويدل عليه بوظيفته {منذر}وهي إحدى وظيفتي النبي – صلى الله عليه وسلم –

٥- جاءت العناصر الإشارية التي تعود على الإهلاك في مقام الوعيد من رب العبيد ما عدا العنصر الأخير في آخر جملة، حيث جاء من الأقوال الساخرة من الكفار للنبي (عجل لنا قطنا من العذاب)أي قسطنا ونصيبنا من العذاب{٢}.

أما العناصر الإشارية غير العاملة فهي التي تذكر مرة واحدة في النص، ولا يسبقها ولا يتبعها شيء من العناصر الإحالية، وقد جاء لفيف منها في النص السابق، وسوف أكتفي بذكرها دون سابق أو لاحق على النحو الآتي:

---

١ - نظم الدرر ٣٦٧/٦

٢ - نظم الدرر ٣٦٨/٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{ص}

[٢]{عزة }(٢)

[٤] {مناص}(٣)

[١٥] {الملة الآخرة}(٧)

[١٩] { خزائن}(٩)

[٢٨]{الحساب}(١)

ثانيا الإحالة الخارجية:

النبي – صلى الله عليه وسلم –

من العناصر المحورية في الموضوع؛ فالخصومة كانت معه، مع ملاحظة أنه لم يصرح باسمه ولكن لا نغفل دور الإحالة الخارجية كالسياق – مثلا – في توضيح أنه مقصود في هذا الموضوع. هذا السياق الخارجي يتمثل في أسباب النزول {[١]}،وهذه هي الجمل التي ذكر فيها ما يشير إليه أي العناصر الإحالية التي تحيل إلى ذات المقصود وهو محمد صلى الله عليه وسلم:

[١] ص {×} والقرآن ذي الذكر (١)

[٦] وعجبوا أن جاءهم { منذر } منهم (٤)

[٧] {هذا} ساحر{×} كذاب{×} (٤)

[٨] أجعل {×}الآلهة إله واحدا (٥)

[١٦] أأنزل علي{هـ } الذكر من بيننا (٨)

[٢٩] اصبر {×} على ما يقولون{×} (١٧)

[٣٠] واذكر {×} عبدنا أيوب (١٧)

---

[١] – انظر الكشاف ٣١٦/٣ / وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير/٢٩/٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحوظات التحليل:

١- بلغ مجموع العناصر الإحالية التي تعود على النبي – صلى الله عليه وسلم عشر مرات

٢- تكرر الضمير وتفوق على العناصر الإحالية الأخرى ثمان مرات أي بنسبة ٨٠%

٣- جاء من العناصر الإحالية الأخرى الوصف المشتق {منذر}مرة واحدة، وذلك في الجملة السادسة أي بنسبة ١٠%، واسم الإشارة، مرة واحدة وذلك في الجملة السابعة،أي بنسبة ١٠%

٤- دخل في التحليل العنصر الإحالي المقدر في الجملة الأولى؛ لأنه محل خلاف بين النحويين والمفسرين، إذ تقديره مرتبط بمعنى { ص}وهل هي اسم بمعنى القرآن أم حرف معجز – وهو الغالب – أم فعل أسند إليه النبي ؟{[١]}

٥- لو أخذنا بالرأي الذي يقول {ص} من المصادة بمعنى المعارضة كما مر لأصبح ضمير الخطاب لمحمد عنصرا إحاليا إلى ما بعده؛ لأنه في الجملة رقم [١] ومنذر في الجملة رقم [٦]

٦- من حيث طبقية الخطاب تكرر ضمير الخطاب أربع مرات (٤٠%) وكذلك ضمير الغائب (٤٠%)، ولا وجود لضمير المتكلم وفي ذلك حكمة {[٢]}

٧- ومن حيث الوظيفة النحوية جاءت ضمائر الرفع ست مرات، وضمائر الجر مرتين.

٨- تكرر الضمير كعنصر إحالي مقدر سبع مرات أي في كل الجمل تقريبا، وجاء اسما ظاهر في صورة الوصف المشتق {منذر}؛ لتوضيح الخطر المحيط بقومه، كما جاء العنصر الإحالي في صورة اسم إشارة (هذا) للدلالة على فساد أخلاقهم ومحاولتهم تقليل شأنه

٩- جاء العنصر الإحالي (محمد)على لسان الكفار ست مرات،وعن رب العزة أربع مرات

١٠- لا مانع أن ننظر للتحليل باعتبارين: الأول نقول فيه: ابتعدت هذه العناصر الإحالية من العنصر الإشاري الأول الموجود على تفسير {ص} بالمصادة والمعارضة بمقدار خمس جمل، مما

---

[١] – سبق شرحه ص

[٢] – انظر ملحوظات الإحالة على العنصر الإشاري (الذين كفروا) وتكرار ضمير المتكلم للكفار ووصفهم الرسول بشدة الكذب والسحر ، فلعل الله رفع شأنه و لم يذكره بضمير الخطاب ؛ لأن المقام مقام خصومة، وشدة تعنت من قومه .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يجعلنا نرجح أن {ص} من الحروف المقطعة المعجزة التي لا يعلمها إلا الله، والاعتبار الثاني المرجح عندنا هو اقتراب العناصر الإحالية من العنصر الأول من الجملة السادسة إلى السابعة إلى الثامنة، ثم قفزت في البعد عن العنصر الأول في الجملة السادسة عشرة، ثم قفزة أخرى في آخر النص في الجملة[٢٩] و [٣٠]

الله (عز وجل)

من العناصر المحورية في الموضوع، وهو صاحب القرآن، ومرسل النبي- صلى الله عليه وسلم – وقد تعددت العناصر الإشارية إليه في الجمل الآتية:

[٣] أهلكـــ{نا}(٣)

[٨] أجعل الآلهة{إله} واحدا(٥)

[١٦] أأنزل {×} عليه الذكر من بيننا (٨)

[١٧] بل هم في شك من ذكر{ي} (٨)

[١٨] بل لما يذوقوا عذاب{ي}(٨)

[١٩] رحمة ربـ{ك} {العزيز} {×} {الوهاب} {×}(٩)

[٢٦] فحق عقاب{ي}(١٤)

[٢٨] {ربـنا} عجل {×} لنا قطنا(١٦)

ملحوظات ونتائج:

١- بلغ مجموع العناصر الإحالية التي تعود على رب العزة ثلاث عشرة مرة.

٢- تكرر الضمير باعتباره عنصرا إشاريا ثمان مرات من المجموع السابق، أي بنسبة ٦١.٥%

٣- ومن حيث طبقية الضمائر لوحظ أن صيغة المتكلم تكررت ست مرات أي بنسبة٧٥%، ونشير إلى أن ضمير المتكلم الذي جاء في الجملة السابعة عشرة {ذكري}جاء بصيغة الإفراد وعدل عن الجمع {نا}كما في الجملة الثالثة؛ لأن هذا السياق للتوحيد فالإفراد أولى، وليكون نصا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قاطعا على أنه واحد أحد وليسوا آلهة كما ادعوا{[1]}، يليها ضمير الغائب الذي تكرر مرتين أي بنسبة ٢٥%، ثم ضمير المخاطب مرة واحدة أي بنسبة ١٢.٥%

٤- من حيث الموقع الإعرابي تساوى ضمير الرفع مع ضمير الجر،ولا ذكر لضمير النصب.

٥- جاءت العناصر الإشارية الأخرى في المرتبة الثانية، حيث تكررت خمس مرات (إلـــه / الله / رب / العزيز / الوهاب) أي بنسبة ٢٥%

٦- تكررت العناصر الإشارية المستترة أربع مرات منها الضمير المستتر وجوبا بعد الوصف المشتق {العزيز الوهاب } أي هو، وفاعل فعل الأمر {عجل } أي أنت، ومنها حذف الاسم الظـــاهر {الله} في صيغة المبني للمجهول {أأنزل عليه الذكر }

٧- ابتعدت هذه العناصر الإحالية عن العنصر الأول وهذا واضح من قراءة أرقام الجمـــل [٣] ثم [٨] ثم [١٦] ثم توالت في [١٧] و [١٨] و [١٩] ثم قفزت إلى آخر النص، في [٢٦]، [٢٨]

٨- جاء العنصر الإشاري الضمير في الجملتين [١٨]{عذاب ِ} و[٢٦]{عقاب ِ} مـــن بـــاب الاكتفاء بالكسرة عن الياء والأصل{عذابي } و{عقابي}، لكنه جاء في الرسم بعدم إثبات الياء، وهذا مما أجمع أهل الرسم وأكثر القراء على حذف يائه رسما وقراءة؛ وحكمة هذا الإشارة إلى أنه العذاب الأدنى المذهب لحمية الجاهلية، وإثبات يعقوب وحده للياء في الحالين إشارة إلى أن العذاب المعد لإهلاك الأمم الطاغية لا مطلق العذاب{[2]}.

اسم الإشارة {هنالك}

وهو اسم إشارة للمكان ورد في الجملة رقم [٢٢] في قوله تعالى:

[٢٢] جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب (١٣)

يعود هذا العنصر الإشاري إلى عدة أماكن لم تذكر في النص، وهذه إحالة خارجية، حيث أشار المفسرون إلى الأماكن المقصودة على النحو الآتي:

١- المقصود بها مكان بدر وهزيمتهم هناك.

---

[1] - نظم الدرر للبقاعي ٣٦٣/٦

[2] - نظم الدرر ٣٦٣/٦ و ٣٦٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- أو مكان وقعة الأحزاب.

٣- أو فتح مكة{١}.

ضمير الغائب {قالوا } وذلك في الجملة السادسة عشرة في قوله تعالى:

[وقالـــــــــ{وا} ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب (١٦) فهذه إحالة خارجية والقائل به النضر بن الحرث الذي قال الله في حقه (سأل سائل بعذاب واقع){٢}، وأيضا يشـــترك معـــه في طلب تعجيل العذاب أبو جهل، و لم يأت بضمير المفرد أو المثنى لأن الباقين راضون بقولهم {٣}

١-٢ { الحذف }

أولى النحويون اهتماما رائدا لظاهرة الحذف وتحدثوا عن حذف المفرد بأنواعـــه، اســـم أو فعلا أو حرفا، وحذف الجملة، بل أدق من هذا حديثهم عن أدلة المحذوف،وثوابت حذف الدليل اللفظي من حيث اتفاقه في الأعم مع الجذر اللغوي للمحذوف، أو اتفاقـــه في الدلالـــة والمعـــنى فقط،بل جعلوا العلامة الإعرابية أحيانا دليلا من أدلة الحذف (تنوين كل وبعـــض الظـــروف)، وجعلوا حذف أحد المتضامين مبنيا على قرينة الاستلزام كما في التوابع والإضافة، و لم يغفلوا موقع هذا الدليل اللفظي، إذ يتقدم تارة، ويتأخر أخرى، وتحدثوا عن درجة الحذف من جواز ووجوب (الإغراء والتحذير والاختصاص والنداء والاشتغال)، وتناولوا الحذف لدلالة المقام والحـــال، أو علم المخاطب وأمن اللبس أي الحذف لدليل مقامي..{٤}.

هذا ويرى بعض الباحثين أن علاقة الحذف بنحو النص تعتبر علاقة نصية قبلية؛ نظرا لوجود العنصر المحذوف في الجمل السابقة، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يهتدي القـــاريء إلى ملـــئه اعتمادا على ما ورد سابقا، ولذا فإن دور الحذف في اتساق النص ينبغي البحث عنـــه في العلاقة بين الجمل،وليس داخل الجملة الواحدة{٥}. وما ذهب إليه يصدق على الحذف لـــدليل

---

١ - نظم الدرر للبقاعي ٣٦٤/٦

٢ - سورة المعارج آية رقم / ١

٣ - روح المعاني ١٧٣/٥

٤ - دور شواهد الشعر الجاهلي في التقعيد النحوي ص٢٠٣

٥ - نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب / د: مصطفى النحاس / ص ٧٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لفظي، أي حذف عنصر لاحق لوجود عنصر سابق، أو لكونه معلوما مفهوما للقاريء، ومن ثم على الباحث ألا يغفل أنماطا أخرى للحذف تدخل تحت السياق الداخلي تارة، والتناص – توسعا – مع نص مماثل تارة أخرى؛ لأن بعض القرآن بين بنفسه، وبعضه يحتاج إلى غيره من آيات أخرى تبينه، ويضرب الإمام الزركشي{١} مثالا على النوع الأخير بذكره الآية الكريمة من سورة ص " وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم " (٦) فجاءهم الجواب في سورة فصلت بقوله تعالى " فإن يصبروا فالنار مثوى لهم " فصلت /٢٤. فالحذف هنا لا يفهم إلا عن طريق الإحالة إلى خارج النص حتى تكتمل وشائجه.

وعلى كل تعددت أنماط الحذف في النص الذي يمثل الموضوع الأول أي خصومة الكفار مع النبي – صلى اله عليه وسلم – وتدرج الحذف من كلمة إلى كلمتين إلى جملة على النحو الآتي{٢}:

١- جاء حذف حرف الجر {من}، وذلك قبل المصدر المؤول بالصريح في قوله تعالى [٥] وعجبوا أن جاءهم منذر منهم (٤) وهو حذف جائز قياسي عند النحويين؛ لكثرة الاستعمال. أضف إلى هذا وجود دليل لفظي على حذفه، وهو استلزام الفعل اللازم (عجب) لهذا الحرف بدليل ذكره معه في تناص آخر في قوله تعالى " أفمن هذا الحديث تعجبون " النجم/٥٩.

٢- سبقت الإشارة إلى حذف العنصر الإحالي (ياء المتكلم) في الجملتين [١٨و[٢٦] وأنه من باب الاكتفاء بالكسرة عن الياء وأن الأصل عذابي وعقابي لكنه جاء في الرسم بعدم الإثبات خلافا ليعقوب كما مر.

٣- وحذفت الحال لأنها مفهومة من الكلام في قوله تعالى [١٠] وانطلق الملأ منهم أن امشوا (٦) أي انطلقوا قائلين امشوا واصبروا{٣}، وقد ظهرت هذه الحال في قراءة ابن مسعود " وانطلق الملأ منهم يمشون "١

---

١ – البرهان ٢/٢١٠

٢ – وضعت للآية رقمين : رقم ترتيبها في السورة بعد نهايتها ، ورقم الجملة ، وذلك قبل الآية.

٣ – إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٠٩ ، وروح المعاني ١٢/١٦٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- وحذف المسند إليه {هم} في قوله تعالى [٢٢]" جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب "(١١) أي هم مهزومون{٢}.

٥- كما حذف أحد جزئي {لات } العاملة عمل { ليس } في قوله تعالى [٤] " فنادوا ولات حين مناص "(٣) والمحذوف عند سيبويه اسم {لات} والموجود {حين} هو خبرها أي ليس الحين حين هرب، أما الأخفش فالمحذوف عنده الخبر و {حين} اسم {لات} على أن {لا} نافية للجنس وزيدت التاء عليها والمعنى: لا حين مناظر (مخاصم) لهم{٣}.

٦- حذف مفعول صيغة المبالغة في قوله تعالى [١٩] "أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب "(٩) أي الوهاب النبوة لمحمد، وهو محذوف للعلم به من السياق الداخلي في قوله تعالى [١٦]{ أأنزل عليه الذكر من بيننا "(٨) ومن السياق الخارجي في مجلس أبي طالب{٤}.

٧- جاء حذف اسمين متتالين في قوله تعالى [٢٨] " وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق "(١٥) فمعنى كلمة فواق الزمن بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع؛ ومن ثم فالكلام على تقدير مضافين أي ما لها من توقف مقدار فواق {٥}.

٨- وحذف متعلق الوصف المشتق في قوله تعالى [٧] " وقال الكافرون هذا ساحر كذاب "(٤) أي ساحر فيما يظهره مما لا نستطيع مثله، وكذاب فيما أسنده إلى الله عز وجل من الإرسال والإنزال{٦}.

٩- حذف جواب القسم للعلم به في قوله تعالى [١] " ص والقرآن ذي الذكر (١) على أحد الأقوال على أن الجواب حذف لطول الكلام{٧}.

---

[١] - روح المعاني ١٦٧/١٢

[٢] - روح المعاني ١٢/ ١٦٩

[٣] - إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٠٨, ٢٠٩ بتصرف

[٤] - انظر أسباب نزول الآيات في الكشاف٣١٦/٣ / وتفسير ابن كثير ٢٩/٤

[٥] - روح المعاني ١٦٩/١٢

[٦] - روح المعاني ١٦٦/١٢

[٧] - البرهان للزركشي ٤٩/٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واجتهد المفسرون في تقدير الجواب المحذوف على النحو الآتي:

أ- قدره الحوفي: لقد جاءكم الحق ونحوه.

ب- وتقدير الزمخشري: إنه لمعجز.

ت- وابن عطية: ما الأمر كما تزعمون.

ث- وقدره معاذ: إنك لمن المرسلين، قياسا على نظيره في القرآن. ويقوي ذلك ذكر النذير فيهما {[1]}.

ملحوظات التحليل:

١- تنوع الحذف وتدرج ابتداء من حذف ضمير المتكلم (عذابي) والاجتزاء عنه بالكسرة، وحذف حرف الجر (من)، ثم حذف العنصر الاسمي كما في الحال والمسند إليه، ومفعول صيغة المبالغة،ومرورا بحذف عنصرين اسميين متتاليين كما في حذف المضافين في { ما لها من فواق } وانتهاء بحذف عنصر قولي - شبه الجملة – كما في حذف متعلق الوصف المشتق {الوهاب}، ثم حذف جملة تامة كما في جواب القسم على أحد الأقوال.

٢- غلب على الحذف السابق الحذف لدليل لفظي، واستلزام أحد المتضامين للآخر، كما وجد الحذف لدليل المقام والسياق الداخلي،أي علم السامع وفهمه، أما السياق الخارجي فقد أشرت إليه عند ذكر رأي الزركشي في بيان قوله تعالى حكاية عن الكفار " اصبروا على آلهتكم"وفي حذف معمول صيغة المبالغة (الوهاب) – الملحوظة رقم (٦).

٣- وأيضا يوضحه نموذج آخر في الآية السادسة عشرة قوله تعالى [٢٨]" وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب" (١٦) وعلاقتها بما قبلها لا تفهم إلا عن طريق تقدير جملة محذوفة، تقديرها ولما سمعوا تهديد الرسول لهم بالصيحة التي ما لها من فواق وتأخيرها، قالوا ربنا عجل لنا قطنا... أو تقدير المحذوف مثلا: ما موقفهم لما سمعوا تهديد الرسول لهم بالصيحة وتأخيرها ؟ فكانت الإجابة: قالوا ربنا عجل لنا قطنا من العذاب..

---

[1] - البحر المحيط١٢/١٦٣ والبرهان للزركشي ٣/٢٢٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١-٣ { الربط }

يمثل الربط عنصرا من عناصر التماسك بين مساحات النص؛ إذ يشير إلى العلاقات بين التراكيب والمتواليات، ويكون الربط بأدوات ملفوظة كأدوات العطف وغيرها أو بوسائل ملحوظة وعلاقات مفهومة منطقية {[١]}؛ ومن ثم فالربط على نوعين:

١- الربط الخطي المتصل.

٢- الربط الخطي المنفصل.

يقصد بالربط الخطي المتصل الربط الخطي التتابعي الذكري:أي التتابع في الزمان، وهو ربط الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزمن حيث يوافق سرد الأحداث في النص تواليها في الزمن الحقيقي

ويقصد بالربط الخطي المنفصل الربط بين عنصر أو أكثر في فضاء النص، ويشمل هذا الرابط مختلف العلاقات كالإضراب والاستفهام والسببية والربط ببل وأم.... {[٢]}

وبتطبيق هذا الإجراء التماسكي على الموضوع الأول من سورة (ص)، أي خصومة الكفار مع النبي - صلى الله عليه وسلم - نرى أن هذا الموضوع مكون من أحداث متتالية زمنيا، هذه الأحداث تتمثل في العناصر الفعلية، وهي إما أحداث رئيسة أي خصومة كفار قريش مع الرسول – صلى الله عليه وسلم -، أو فرعية، بمثابة استدعاء للأمم السابقة المكذبة وعاقبتهم، ومن ثم ليست منفكة عن الأحداث الرئيسة. وقد أشرت للأولى بوضعها بين قوسين، وكتبت الثانية بلا أقواس على النحو الآتي:

---

[١] - النص والخطاب والإجراء / روبرت دي بو جراند ترجمة الدكتور تمام حسان/عالم لكتب / القاهرة ط/١/١٩٩٨م٣٤٧

[٢] - نسيج النص الأزهر الزناد / المركز الثقافي العربي / لدار البيضاء/ط/١/١٩٩٣م ٤٦/٤٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رقم الجملة	الفعل	نوع الحدث	رقم الآية
٤	فنادوا	فرعي لتقوية النبي	٣
٥	{وعجبوا}	رئيس	٤
٦	{أن جاءهم}	رئيس	٤
٧	{وقال الكافرون}	رئيس	٤
٨	{ أجعل}	رئيس	٥
١٠	{وانطلق}	رئيس	٦
١١	{أن امشوا}	رئيس	٦
١٢	{واصبروا}{يراد}	رئيس	٦
١٤	{ما سمعنا}	رئيس	٧
١٦	{أأنزل}	رئيس	٨
٢٣	كذبت	فرعي لتقوية النبي	١٢
٢٨	وما ينظر}	رئيس	١٥
٢٩	{وقالوا}	رئيس	١٦
٢٩	**{عجل}**	**رئيس**	١٦

ملحوظات التحليل:

١- جاء الموضوع مجملا في أول السورة في قوله تعالى " بل الذين كفروا في عزة وشقاق "(٢) أي حمية وإعراض عن التوحيد، وجاءت التفصيلات عن ذكر مجلس أبي طالب والزمن المصاحب للأحداث،وأهم شخصيات الكفر مثل أبي جهل والنضر بن الحرث وآخرين في كتب التفاسير{[١]} بما يؤكد أن سياق الحال يفيد التتابع الزمني بين الأحداث وبعضها بعضا؛ فالرسول –عليه السلام – كلفه الله بالإبلاغ، والإنكار جاء من قومه.

[١] – تفسير ابن كثير ٢٩/٤ و الكشاف ٣١٦/٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- بدأت الأحداث بوصف كفار قريش بالحمية والإعراض عن الرسول –عليه السلام – ثم استدعى لهم حالة الكفار السابقين وفرارهم عند نزول العذاب، ثم عاد إلى موضوع كفار قريش وتكذيبهم الرسول في مجلس أبي طالب، وفزعهم من دعوة الرسول إياهم بالتوحيد، ثم وضحت الآيات عنتهم وتواصيهم بالصبر على ما يحاك ضد آلهتهم، وأن دعوة التوحيد من اختلاق محمد، ثم أعقب ذلك بالكشف النفسي عن سبب رفضهم من حقد وحسد، ثم التلويح لهم مرة أخرى بإهلاك الأمم السابقة دون ذكر نوع العذاب اعتمادا على فهم القاريء لها في سور أخر من القرآن الكريم، وأنهى الموضوع بتهديدهم بالصيحة، أي النفخة الثانية التي تقوم بها الساعة {[١]}، تمهيدا لحسابهم وعذابهم وذيل ذلك بعرض الموقف الساخر لزعماء الكفر في طلبهم تعجيل العذاب قبل يوم الحساب، وأوصى رسوله بالصبر.

هذا هو مجمل الأحداث كما صورها القرآن الكريم،وهي أحداث مرتبة ترتيبا زمنيا موافقا لما حدث في الواقع؛ ومن ثم فالترابط واضح بين هذه الأحداث؛ إذ يتمثل في التتابع الزمني المتصل الذي عبرت عنه أداة العطف الواو { وعجبوا} {وانطلق} }واصبروا} { وما ينظر }{ وقالوا }. ولم تصرح الآيات بالزمن صراحة كما في سورة الكهف مثلا اعتمادا على معرفة أهل مكة بكل ما حدث، وبما أثبتته كتب السيرة والتفاسير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفاصل بين ما حدث في مجلس أبي طالب في الآية الخامسة { أجعل الآلهة إلها واحدا } قد أشارت إليه الآية الحادية عشرة { جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب }، وهذا إعجاز طبعا حيث فيه إشارة إلى هزيمتهم في بدر والأحزاب ثم فتح مكة {[٢]}، وهنا يتماسك زمن الأحداث مع الخارج تماسكا دلاليا وإنجازيا.

٣- يلاحظ على أفعال النص السابق غلبة الأفعال التي تدل على الزمن الماضي؛لأنها حدثت بالفعل.

---

[١] - روح المعاني ١٢/١٧١

[٢] - نظم الدرر للبقاعي ٦/٣٦٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- غالب أفعال النص ذات طبيعة حوارية تصويرية: { قالوا / أجعل / انطلق / امشوا / اصبروا / ما سمعنا / عجلْ.وهي محكمة التصوير لحال قريش مع الرسول في مجلس أبي طالب الشهير، أو تصويرية لاستدعاء أحداث الأمم السابقة، كما في الفعل { أهلكنا } إذ يصور بإجمال ما حدث للأمم الأخرى، اعتمادا على ذكر التفاصيل في سور أخرى، حتى صارت معلومة في أذهان المستمعين على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وبعد وفاته إلى يوم الدين، وكذلك الفعل { فنادوا} يصور فرار المكذبين لحظة وقوع العذاب.. وهكذا..

٥- تخلل هذا التتابع الزمني المتماسك أحداث فرعية منها إخبار الله نبيه – عليه السلام – بما حدث للأمم الأخرى، وأيضا عدة وصايا له من صبر أو بيان لسبب إعراضهم عنه وحسدهم إياه.

٦- استخدم الفاء بين الحدث الفرعي { أهلكنا }و{ نادوا}؛تعقيبا ونتيجة لتكذيبهم، ثم استخدم الواو بعد هذا حيث أفادت جمع هذه الأحداث وتتابعها في وقت واحد.

٧- جاء الربط بحرف الإضراب (بل) بمثابة دلالة السببية حيث، كان الشك وتأخير العذاب عنهم من أسباب تعنتهم.

٨- جاء الرابط {أم}في قوله تعالى " أم عندهم خزائن رحمة ربك (٩)ردا على حسدهم الرسول – عليه السلام – في قوله تعالى " أأنزل عليه الذكر من بيننا (٨)، وباستدعاء آية أخرى تؤكد هذا الحسد وهي قوله تعالى " وقالوا لولا نزل القرآن على رجل من القريتين عظيم "(٣١/الزخرف).

٩- عطف بالفاء في قوله تعالى " فليرتقوا في الأسباب (١٠) على عدة متواليات سابقة من استفهام وإضراب {أأنزل} بل هم } { بل لما يذوقوا} { أم عندهم } { أم لهم }، وقد أفاد هذا الإضراب تشويقا للمستمع حيث جاء بمثابة الإخبار عن سبب إعراضهم في أول الأحداث.

١٠- ثم جاء الربط بالاستثناء في قوله تعالى "إن كل إلا كذب الرسل "(١٤) ليؤكد وجه الشبه بين حال كفار قريش وحال الأمم المكذبة السابقة، وفيه من التهديد لهم بسوء العاقبة، والتسلية للرسول – عليه السلام –وهو استثناء مفرغ من أعم العام وهو الخبر، أي ما كل حزب من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأحزاب محكوما عليه بحكم إلا محكوما عليه بأنه كذب الرسل، أومخبر عنه بخبر إلا مخبرا عنه بأنه كذب الرسل؛لأن تكذيب رسول واحد هو تكذيب لكل الرسل {[1]}.

٢-التماسك الدلالي

يقصد به الربط الذي يعتمد نوع العلاقة الدلالية في الجمع بين العنصرين المتتابعين {[2]}، وفائدة هذا الربط جعل أجزاء الكلام آخذا بعضها بأعناق بعض؛فيقوي بذلك الارتباط ويصير النص محكم البناء متلائم الأجزاء. وقد تحدث الزركشي عن هذا النوع من الربط تحت عنوان "أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض{[3]}.

ومن مظاهر التماسك الدلالي البيان وذلك بتوضيح النص بعد إجماله، وعلاقة الإجابة بالسؤال، والتعليل، والتدرج، والتأكيد والسببية، والمناسبة، والمقارنة، وعلاقة التقابل التفصيل...{[4]}

وسأقدم جدولا يوضح صور التماسك الدلالي، وذلك بوضع العلاقة الدلالية المناسبة أمام كل آية وما يرتبط معها في النص المختار على النحو الآتي:

رقم الآية	النص	النص المقابل	العلاقة
١-	بل الذين كفروا في عزة وشقاق	وعجبوا /وقال الكافرون / اصبروا / أأنزل / عجل لنا	**التفصيل بعد الإجمال**
٣-	كم أهلكنا قبلهم من	بل الذين كفروا في عزة..	**تقابل**
٤-	هذا ساحر كذاب	أجعل الآلهة إله واحدا	**التعليلية**

---

[1] - روح المعاني ١٢/١٧٠

[2] - نسيج النص ص ٤٨ بتصرف .

[3] - البرهان في علوم القرآن ١/٦٦

[4] - اتساق النص في سورة الكهف/ د فريد حيدر / زهراء الشرق/القاهرة /٢٠٠٤م ص ٦٤ بتصرف .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦-	امشوا واصبروا	إن هذا لشيء يراد	**التعليلية**
٧-	ما سمعنا بهذا..	أجعل الآلهة إله واحدا	**تأكيد وتدرج**
٨-	أأنزل عليه الذكر..	وعجبوا أن جاءهم منذر	**الإجابة بالسؤال**
٨	بل هم في شك من ذكري	بل لما يذوقوا عذاب	**إضراب وتقابل**
٩/١٠	أم عندهم / أم لهم	أأنزل عليه الذكر من بيننا	**تقابل**
١٠	أم لهم ملك السموات	فليرتقوا في الأسباب	**السببية**
١١	جند ما هنالك مهزوم	كل ما سبق من أقوالهم	**التأكيد**
١٢ /١٣	كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون...	إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب	**سببية**
١٥-	**وما ينظر هؤلاء**	**وقالوا ربنا عجل لنا قطنا**	**سببية**

ملحوظات:

١- غير خاف دور أدوات العطف من ربط بين الجمل والآيات، ومن ثم مثلت مع بقية الروابط المعنوية المذكورة أساسا للتماسك الدلالي بين أجزاء النص.

٢- هناك علاقات أخر لم تأت في الجدول مثل العلاقة التفسيرية وهي موجود في النص في قوله تعالى " وانطلق الملأ منهم أن امشوا،على أن معنى {أنْ} تفسيرية.

٣- يعد التفصيل والإجمال من أقوى الروابط الدلالية بين النص باعتباره وحدة كلية، ثم يأتي دور بقية العلاقات في تأكيد التماسك الداخلي لمتواليات النص وجمله. ومقتضى الإجمال في الموضوع أن حمية الكفار وإعراضهم تبعه كل ما جاء من جمل ومتواليات، فكانت بمثابة التفصيل في رأيي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- قد يأتي الاستئناف النحوي دليلا على التماسك الدلالي إذا كان في حكم علاقة التوكيد، وهذا واضح في قوله تعالى (إن كل إلا كذب الرسل فحق وعيد) فهو استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم على أبلغ وجه، وتمهيدا لما يعقبه.{١}

٥- جاءت الآيتان التاسعة والعاشرة وقد ارتبطتا عن طريق التقابل وللقدماء إشارة ذكية حيال هذا؛ قال الألوسي{٢}: قوله تعالى "أعندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب " في مقابلة قوله سبحانه "أأنزل عليه الذكر من بيننا " بل يستدعي نصا آخر لتأكيد هذه المقابلة والمعانقة بين الآيات فيقول:ونظيره في رد نظيره "أهم يقسمون رحمة ربك "[٣].

٣- التماسك المعجمي

وجه الفيلسوف الألماني {فتجنشتاين} النقد إلى عنصر التماسك المعجمي بين كلمات نص ما بأن الكلمات ليس لها معان! وإنما لها استعمالات، وعلى هذا لا تبحث عن الكلمة بل ابحث عن استعمالها{٤}؛ ومن ثم يفهم مما سبق أن الاتساق المعجمي القائم على عدة علاقات من ترادف وشبهه، وتكرار ومقابلة، واشتقاق، وعلاقة الجزء بالكل..إلخ هذه العلاقات التي تبرز المسافة الفاصلة بين اللفظين صاحبي العلاقة قد يكون بها قصور، أو لا دور لها في التماسك على مستوى النص مادامت بعيدة عن سياقها. لكن الدكتور فريد حيدر له رأي آخر إذ يقرر "أن الاتساق المعجمي من مظاهر الاتساق في القصة، حيث لا تخلو هذه الطريقة من فائدة في هذا الميدان، وإن اختلف معنى الكلمة وتغير بتغير السياقات، فهو عائد لا محالة إلى أصل الدلالة، وهذا في حد ذاته نوع من الترابط يخدم اتساق النص وتماسكه" {٥}. وأرى أنه لا تناقض بين الرأيين لأن النص عند التحليل ينظر إليه من عدة زوايا: مستوى التماسك الشكلي، والتماسك الدلالي، و التماسك الخارجي السياقي، أضف إلى هذا أنه لا مانع من الإفادة من العلاقات التي تتضافر على

---

١ - روح المعاني ١٢/١٧٠

٢ - روح المعاني ١٢/١٦٨

٣ - سورة الزخرف /٣٢

٤ - علم لغة النص / سعيد بحيري ص ٣٤

٥ - اتساق النص في سورة الكهف ص ٧١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستوى المعجمي، فهي تختلف عن العلاقات الدلالية والسياقية، كما أنه من اليسير إضافة بعد جديد أسميه تعانق المفردات، بما يؤدي في النهاية إلى إحداث التماسك في النص على النحو التالي:

١- ارتبط العنصر الاتساقي { الذين كفروا } مع العنصر الافتراضي {الكافرون} عن طريق الرابط الاشتقاقي.ومع {الملأ } و { جند } و{الأحزاب }عن طريق الرابط (شبه الترادف).

٢- ارتبط العنصر الاتساقي { القرآن }مع العنصر الافتراضي { الذكر} عن طريق علاقة الترادف،

٣- أما الذكر فقد ارتبط مع اللاحق {ذكري} عن طريق التكرار.

٤- ارتبط العنصر الاتساقي { منذر} مع ما بعده {الرسل } عن طريق علاقة الجزء بالكل.

٥- كما ارتبط العنصر نفسه { منذر }ب {ساحر / كذاب } عن طريق التضاد.

٦- ارتبط الإهلاك بالعذاب عن طريق شبه الترادف،

٧- كما ارتبط العنصر نفسه بالعنصر {مهزوم} عن طريق شبه الترادف الاشتقاقي.

٨- ارتبط العنصر الاتساقي { العذاب } بالعنصر الذي يليه في النص {عقاب} عن طريق الترادف.

٩- كما ارتبط العنصر نفسه ب{ الصيحة } عن طريق الترادف.

١٠- ارتبط العنصر الاتساقي { إله} بالعنصر الافتراضي {الله} عن طريق التكرار.

١١- كما ارتبط العنصر نفسه ب { آلهة } عن طريق علاقة الجزء بالكل.

١٢- ارتبط العنصر الاشتقاقي { قال الكافرون } بالعنصر الذي يليه { وقالوا } عن طريق التكرار الاشتقاقي.

١٣- تعانقت كلمة { خزائن }فجاءت جمع كثرة وتناسبت مع كلمة { الوهاب} صيغة المبالغة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- التماسك بين الفواصل

الفواصل في القرآن – كما قال الزركشي{[١]} -: هي حروف آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع يقع بها إفهام المعاني و لا تكون مقصودة في نفسها.

مع ملاحظة أن ذكر القافية والسجع هنا هو من باب التقريب؛ لأن القافية في الشعر مجرد غطاء خارجي مؤثر فقط في الجوهر الصوتي دون أن يكون له تأثير وظيفي على المعنى{[٢]}، وكذلك السجع البشري، أما الفواصل في خواتيم الآيات القرآنية فهي مرتبطة بإضافة معنى ما (عزة وشقاق)(العزيز الوهاب) أو تشكل جزءا من المعنى الرئيس مثل (عجاب / يراد) أو تكون سببا أو نتيجة وعاقبة، أو قيدا بما يؤكد دور الفواصل القرآنية في تتمة وبناء العلاقات التي يرتبط النص بها.

هذا وتنقسم الفواصل باعتبارين هما:

١- المتماثل والمتقارب من الحروف.

٢- المتوازي والمتوازن والمطرّف.

والفواصل الموجودة في النص المختار هي:

رقم الآية	الفاصلة
١	الذكر
٢	شقاق
٣	مناص
٤	كذاب
٥	عجاب
٦	يراد

---

[١] – البرهان في علوم القرآن ٨٣/١ وما بعده

[٢] – بناء لغة الشعر / جون كوين / ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور/ أحمد درويش / دار المعارف ط/٣/١٩٩٩٣م ص٤١ وهذا رأي من رأيين لجاكوبسون .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧	اختـــلاق
٨	عـــــذاب
٩	الوهـــاب
١٠	الأســـباب
١١	الأحـــزاب
١٢	الأوتـــــاد
١٣	الأحـــزاب
١٤	عقـــــاب
١٦/١٥	فـــواق / الحساب

ملحوظات التحليل:

١- الاتساق واضح بين هذه الفواصل في عمومها ابتداء من الآية الثانية، وباستثناء فاصلة الآيـــة الأولى (الذكر) حيث جاءت من المقاطع المغلقة – في حالة الوقف - الخالية من الحروف الصائتة (المد)

٢- بقية الفواصل نشأ الانسجام فيها بسبب تماثل آخر مقطع الذي يتكون من حرف مد وبعـــده حرف صامت موقوف عليه.

٣- جاء الحرف الأخير على هذا التوزيع التكراري:

أ – الألف مع الباء تسع مرات.

ب- الألف مع القاف ثلاث مرات.

ج –الألف مع الدال تكررا مرتين.

د – الألف مع الصاد مرة واحدة.

فالفواصل بين كل مجموعة من (أ و ب و ج) متماثلة الحروف فيما بينها، وبـــين كـــل المجموعات وبعضها بعضا متماثلة المقاطع.

٤- جاءت بعض الفواصل متماثلة في الحروف مثل أحزاب ١٣/١١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥- جاءت بعض الفواصل متوازية أي اتفقت فيها الكلمات في الوزن وحروف السجع مثل كذاب /وهاب ٩/٤ فكلاهما على وزن فعّال {١ }

٦- جاءت بعض الفواصل من نوع المتوازن أي الاتفاق في الوزن فقط مثل مناص / عذاب/ فواق ١٥/٨/٣ فكلها بوزن فعال

٧- جاءت بعض الفواصل من باب المطرّف أي اتفقت فيه الفاصلتان في حروف السجع لا في الوزن مثل: عقاب وأحزاب / وأوتاد ويراد

٨- هناك تماسك لفظي آخر في حركة الحرف الأخير من هذه الفواصل الستة عشرة؛عنيت الحركة الإعرابية في حالة الوصل لا الوقف، حيث جاءت الكلمات التي لها موقع إعرابي بالكسرة إحدى عشرة مرة، والمرفوعة خمس مرات.

والنتيجة أن هذا التشابه الصوتي يؤدي إلى التماسك بين فواصل النص الكريم ويعضد التناسق بالإحالة والتناسق الدلالي، والمعجمي..

٥- التماسك السياقي والتواصل

من الثابت في الدراسات النصية المعاصرة أن الملامح السياقية في تحليل النص تنقسم إلى قسمين:

أ ــ السياق النصي الذي يشمل بدوره عدة نواحٍ :

١ ــ الإطار اللغوي ويندرج تحته السياق الصوتي،والصرفي، والنحوي، والمعجمي.

٢ ــ الإطار التركيبي مثل بداية الجملة أو الفقرة أو الجملة أو النص بتمامه..

ب ــ السياق الخارجي للنص ويشمل عدة أطر أو أنواع:

١- العصر الذي قيل فيه النص، والقائل.

٢- المتكلم أو صاحب النص.

٣- المستمع أو القاريء.

٤- سياق الموقف والظروف المحيطة بالنص{[١]}.

---

[١] - لمعرفة أنواع الفواصل في القرآن عموما راجع البرهان للزركشي ١٠٤/١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسيكتفي البحث بأخذ نموذج لتوضيح السياق النصي على مستوى الصرف من ذلك مثلا قوله تعالى " وقال الكافرون هذا ساحر كذاب " (ص/٤) قالوا (ساحر) على وزن (فاعل)، ولم يقولوا (سحّار) مبالغة على وزن (فعّال) قياسا على سحرة موسى الذين قيل في حقهم " وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم" الشعراء/٣٧. والإجابة أن كل صيغة مرتبطة بسياقها؛ فسحرة موسى كان السياق في اختيار من يتقن هذه المهنة لدرجة المبالغة والبراعة بغرض إيقاف موسى – عليه السلام – وهي نصيحة من المحيطين بفرعون، فناسبهم تزيين القول وزخرفته إرضاء له، أما في سورة (ص) فسياق هذا أنه من كلام الكفار وهم لا يرغبون في استخدام صيغة المبالغة؛ حتى لا تنجذب القلوب إليه. كما قال البقاعي في نظم الدرر بل أضاف قائلا: ووقاحة منهم قالوا كذّاب – أي بصيغة المبالغة – وهم يعلمون أنهم كاذبون في ذلك، وكانوا يسمونه الأمين، وأن ما يقوله الصدق والكمال {[٢]}.

أما سياق الموقف أو الحال فخطبه جلل؛ حيث يرتبط بالتواصل والتداولية؛ لأنه هو الذي يرشدنا إلى تحقق الفعل في الواقع أو عدم تحققه، مما دفع {أوستين} صاحب نظرية أفعال الكلام أن يتساءل عما إذا كان قول شيء ما هو إنجازه ؟ وفرق بين مصطلحين:

١- فعل الكلام.

٢- و لازم فعل الكلام

وأن الثاني يفهم من خارج النص، أي من سياق الحال {[٣]}.

أضف إلى هذا باختصار أن مهمة التداولية دراسة الرموز والعلاقات والمستعملين لها، بما يؤكد الدور الاجتماعي للغة، مع ملاحظة أن أوستين درس الفعل (الحدث) اللغوي من ثلاث زوايا:

١- التلفظ: وهو يختص بمعرفة مخارج الحروف المادية.

---

[١] – من الوجهة الإحصائية د / صلاح فضل / مجلة فصول/ مجلد/٤/عدد/١/ ديسمبر/١٩٨٣م ص ١٢٠

[٢] – نظم الدرر ٣٥٩/٦

[٣] – اتساق النص ص/٨٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- النطق: وهو يتعلق بمقاصد العبارة.

٣- الخطاب: وهو يهتم بمقاصد المتكلم الخارجية عن العبارة المفهومة من السياق.

والمهم الخروج باللغة من حالة التلفظ والنطق إلى حالة الفعل الخطابي؛ ومن ثم تصبح اللغة أفعالا للتواصل، لا مجرد أقوال خالية من الدلالات والإحالات المرجعية، هذه الأفعال هي التي تشكل العادات والأعراف والتقاليد في المجتمع، وإذا كان تعريف الفعل الإنجازي في نظرية أفعال الكلام تلك: هو كل حدث حاصل بواسطة الكائن الحي؛ فإن كل فعل في القرآن الكريم كان القصد منه الإرشاد ولتوجيه أو الأمر أو النهي هو فعل إنجازي بالنسبة للرسول عليه السلام{١}، وبإضافة بعد آخر للفعل الإنجازي وهو تعريف التخاطبية عند {سميث} بأنها: دراسة كيف تتعلق العلامات بالناس؛ ومن ثم تصبح مهمة علم الخطاب مهمة اجتماعية بالدرجة الأولى، أقول من هذا المنظور فإن النص القرآني يعد خير موجه لحياة الأمة إلى يوم القيامة في شتى مناحي الحياة؛ لما يمتلكه من تأثير في نفوس أتباعه، وتغيير سلوكهم طبقا لتوجيهات المنجز الأول الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتبعه أصحابه وكل المسلمين إلى عصرنا، بل إلى يوم الدين.

ومن نماذج التواصل الموجود في سورة ص عدة مقاصد شرعية منها:

١- في قوله تعالى " وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب " قال شريح القاضي والشعبي: فصل الخطاب الشهود والأيمان، وقال قتادة شاهدان على المدعي أو يمين المدعى عليه وهو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء{٢}.

٢- كان ابن عباس لا يصلي الضحى فأخبرته أم هانيء بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – صلى يوم الفتح ثمان ركعات وذلك في الضحى، وعلق ابن عباس على هذا بقوله: لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن من قوله تعالى " إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق "ص١٨{٣ }.

---

١ – السابق ص / ٨٨

٢ – تفسير ابن كثير ٣٢/٤

٣ – ابن كثير ٣١/٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- علق النبي – عليه السلام – على الآية الكريمة " وظن داود أنما فتناه، فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب " ص/٢٤ بقوله: سجدها داود توبة ونسجدها شكرا{١}، فكانت تشريعا لسجود الشكر في عهد الرسول، والتزم بها أصحابه، ثم أتباعه إلى يوم الدين.

٤- والخلاصة أن النص القرآني امتد أثره وتوجيهاته في مكة وخارج مكة بل وخارج الجزيرة العربية، وصارت وظيفة الرسول والصحابة بعد وفاته ليس فقط مجرد تغيير سلوك الأفراد بل امتد أثر النص إلى الجماعات والمؤسسات وكافة الطبقات التي صارت تتواصل مع النص تواصلا جماعيا عبر أفرادها من خلال توجها النص وآلياته، ولا يغيب عنا أن اللغة كانت هي الوسيلة التي تفاعل بها كل هؤلاء.

---

١ – ابن كثير ٣٢/٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاتمة البحث

١- نظر البحث إلى نحو النص على أنه امتداد حتمي لنحو الجملة، وأن الأخير هو خطوة ثابتة في اتجاهه لنحو النص؛ ومن ثم أثبت البحث بالتطبيق تداخل العلاقات النحوية لنحو الجملة في نحو النص.

٢- جاءت إشارات المفسرين القدماء نبراسا لفهم كثير من عناصر التماسك النصي على مستوى الشكل والمضمون والواقع المحيط بالنص، بل والمجتمعات القديمة والحديثة؛ لأن القرآن نص مفتوح يتعامل معه يوميا ملايين البشر إلى يوم الدين.

٣- كشفت الدراسة التطبيقية عن عمق الترابط والانسجام بين آيات السورة الواحدة وبعضها بعضا.

٤- شمل التحليل جوانب التماسك النحوي من إحالة وحذف وترابط، وتعداه إلى توضيح العلاقات التي توضح التماسك الدلالي، والمعجمي والصوتي.

٥- وضحت دور الروابط في التماسك الدلالي وتغلل الروابط النحوية من عطف وإضراب وسببية واستثناء، بالإضافة إلى العلاقات الأخرى من تعليل ومقارنة وتقابل..كما أدخلت في التماسك المعجمي ما يسمى بتعانق المفردات.

٦- أدخلت كثيرا من عناصر نحو الجملة في عناصر التماسك النصي مثل:

أ - إدخال حذف المبتدأ في العنصر الإحالي وترابطه بعنصر إشاري محوري سبقه في الذكر، ووضحت التماسك عن طريق الحذف وتنويعاته.

ب – إدخال عنصر التعيين بالتعريف كتماسك بين عناصر الإحالة إلى عنصر إشاري { القرآن الكريم }

ج- إدخال عنصر السياق في الإحالة في ضوء التناص بين عدة إحالات من سورة {ص} إلى سورة {ق}....

د- إدخال عنصر السياق في بيان سبب العدول عن صيغة الجمع إلى المفرد حيث يتطلب مقام العبودية الإفراد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا وغير خاف دور القاريء الضمني في إدراك ما تناثر عبر صفحات هذا البحث مما أغفلناه في هذا التعقيب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

أولا القرآن الكريم.

ثانيا:

١- اتساق النص في سورة الكهف د/ فريد حيدر / زهراء الشروق القاهرة ٢٠٠٤م

٢-أسرار القرآن في القرآن للكرماني / تحقيق عبد القادر أحمد عطا / القاهرة.

٣- إملاء ما من به الرحمن من وجوه إعراب والقراءات / أبو البقاء العكبري/ دار الكتب العلمية / بيروت /

٤-البحر المحيط / محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي ط/٢/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٥-بناء الجملة العربية د/ محمد حماسة /دار الشروق ١٩٩٦م / مصر

٦-بناء لغة الشعر / جون كوين / ترجمة وتعليق / د أحمد درويش / دار المعارف /ط/٣/١٩٩٢م

٧-تفسير القرآن العظيم / لأبي الفداء إسماعيل بن كثير /دار الريان للتراث/القاهرة ج/٤

٨-البرهان في علوم القرآن للزركشي / تعليق مصطفى عبد القادر عطا / دار الفكر للطباعة والنشر/٢٠٠١م

٩-التوابع بين القاعدة والحكمة / د/ محمود شرف الدين / ط/١/١٩٨٧م

١٠- حاشية الصبان على شرح الأشموني / (شرح الأشموني) دار إحياء الكتب المصرية /القاهرة

١١- خزانة الأدب ولب لباب العرب /عبد القادر البغدادي (طبعة بولاق)ج/٤

١٢- الخصائص لابن جني / تحقيق / محمد علي النجار / المكتبة العلمية.

١٣- شرح التصريح على التوضيح / خالد الأزهري / دار الفكر

١٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ شهاب الدين بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي /تحقيق الدكتور جاد مخلوف جاد وآخرون/دار الكتب العلمية بيروت / لبنان

١٥- دراسة نصية لصور التماسك النصي:مصطفى قطب / رسالة دكتوراه/ دار العلوم ١٩٩٦م

١٦- دور شواهد الشعر الجاهلي في التقعيد النحوي / دار الثقافة العربية ٢٠٠٠م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٧- روح المعاني والقرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي / تحقيق محمد أحمد الأمد وآخر / دار إحياء الكتب العربية / بيروت ط/١٩٩٩م

١٨- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص /د/ سعد مصلوح (الكتاب التذكاري لذكرى هارون / الكويت ١٩٩٩م

١٩- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق د/ صبحي الفقي / دار قباء / القاهرة ٢٠٠٠م /ج/١

٢٠- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات د/سعيد بحيري / مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ط/١/٢٠٠٤م

٢١- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات / تون أ فان ديك / ترجمة د سعيد بحيري /دار القاهرة للنشر والتوزيع/ط/١/٢٠٠١م

٢٢- قراءة النص رؤية في التحليل الدلالي / مجلة دار العلوم عدد٣٢

٢٣- الكشاف عن حقائق التنزيل / جار الله محمود الزمخشري / دار المعرفة / بيروت /لبنان

٢٤- لسان العرب لابن منظور الإفريقي / طبعة دار المعارف

٢٥- اللغة وبناء الشعر/ د محمد حماسة عبد اللطيف /ط/١/القاهرة /١٩٩٢م

٢٦- مختارات ابن الشجري ج١/

٢٧- المدخل إلى دراسة النحو العربي د/ علي أبو المكارم /ط/١/١٩٨٢م

٢٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام / تحقيق محمد محيي الدين /مكتبة صبيح / القاهرة

٢٩- المقتضب: أبو العباس المبرد / تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة / لجنة إحياء التراث/ ١٣٩٩هـ ج/١

٣٠- مقدمات التأليف ونظرات في المنهج / د محمود شرف الدين /ط/١/

٣١- المنصوبات بين اللفظ والمعنى / د/ عرفة عبد المقصود عامر / مكتبة أم القرى / الفيوم ١٩٩٤م

٣٢- من أسرار اللغة / د إبراهيم أنيس / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٧٨م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٣- من الوجهة الإحصائية /د صلاح فضل /مجلة فصول / المجلد الرابع / العدد /١/ديسمبر/١٩٨٣م

٣٤- نحو أجرومية للنص الشعري / د سعد مصلوح /مجلة فصول جزء/ ١ / العدد ٢/١/ يوليو – أغسطس /١٩٩١م

٣٥- نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب / د مصطفى النحاس / دار السلاسل / الكويت ط/١/٢٠٠١م

٣٦- النحو وكتب التفسير / إبراهيم عبد الله رفيده/المنشأة العامة للنشر والتوزيع / طرابلس /ط/١/١٩٩٨٢م

٣٧- نسيج النص:الأزهر لزناد / المركز الثقافي العربي / الدار البيضاء ط/١/١٩٩٣م

٣٨- النص والخطاب والإجراء / روبرت دي يو جراند / ترجمة الدكتور تمام حسان / عالم الكتب القاهرة ط/ ١/١٩٩٨م

٣٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ج/٦للبقاعي.